وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة يحي فارس بالمدية



كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

صورة المشرق الاسلامي من خلال كتاب _سراج الملوك _ لأبي بكر الطرطوشي (451_520هـ/1059_1126م)

مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ /تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب.	الرتبة العلمية.	الصفة.
د. العربي بوبكر	أستاذ محاضر أ	رئيسا.
د. خلف الله وجدي	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا.
دحمزة حاجي	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا.

- من إعداد الطالبتين:

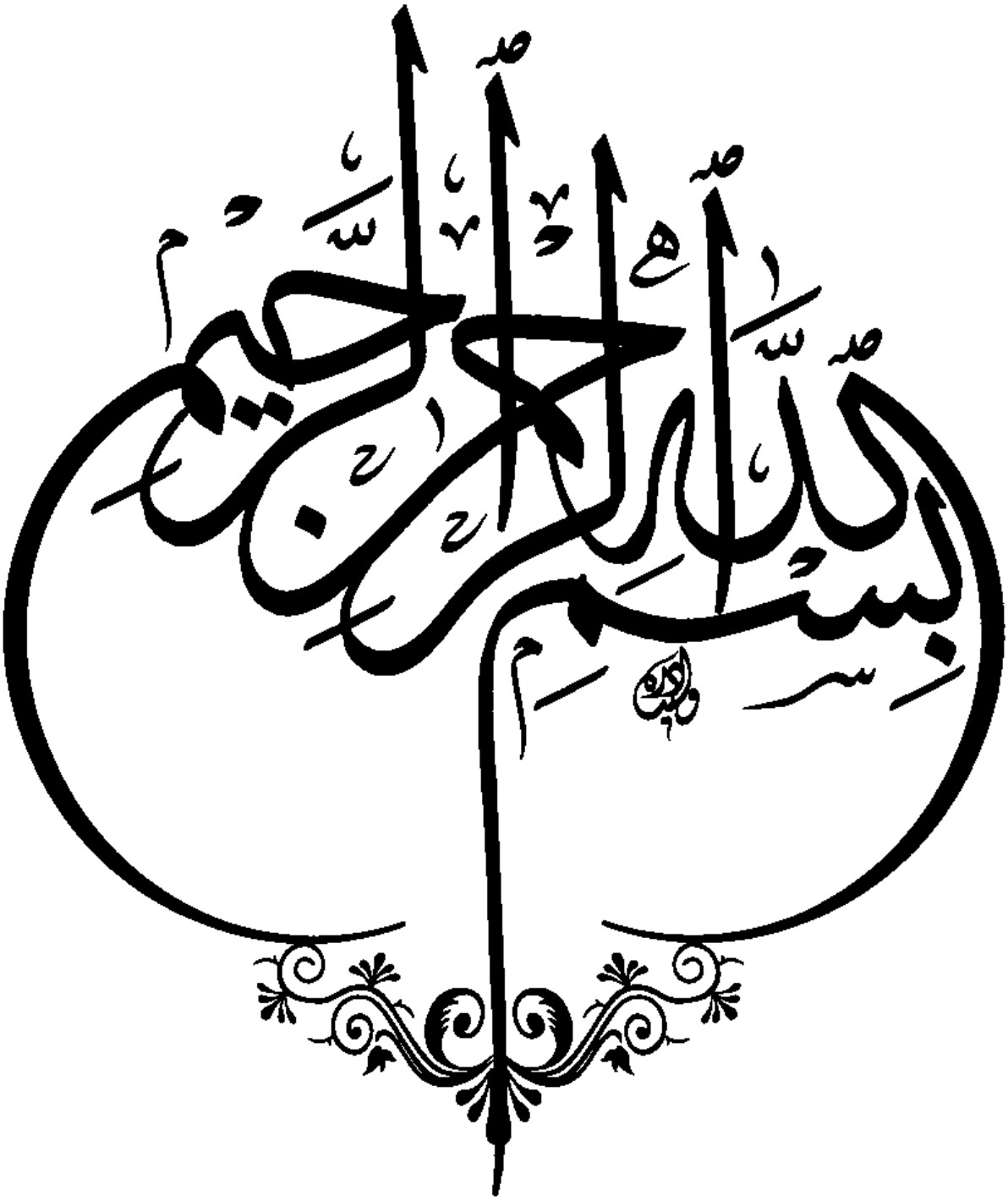
حسين نور

موزاوي شيماء

– إشراف الأستاذ :

د. وجدي خلف الله

الموسم الجامعي : 1442-1443 هـ / 2020-2021 م .


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله أولا وقبل كل شيء وآخرا وبعد كل شيء ودائما دوام الحي القيوم الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل وأنار لنا درب العلم والمعرفة.

نتقدم بفائق الشكر و أسمى آيات الامتنان إلى الأستاذ المشرف ، الاستاذ وجدي خلف الله على الجهد الذي بذله في تصحيح هذه المذكرة و تصويبها ، و على جميل صبره جزاك الله خيرا يا أستاذنا.

كما نتقدم بخالص الشكر و الامتنان إلى اللجنة العلمية الموقرة الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه المذكرة.

و إلى كل أساتذة قسم العلوم الانسانية بجامعة الدكتور يحي فارس.

إهداء

❖ أهدي ثمرة دراستي إلى من ساندتني في صلاتها و دعائها إلى من سهرت الليالي تنير دربي إلى منبع العطف و الحنان، إلى:"أمي الغالية" حفظك الله وأطال في عمرك.

❖ إلى الذي لم يبخل علي بأي شيء ، إلى من سعى لأجل راحتي و نجاحي

❖ إلى أعظم و أعز رجل في الكون : "أبي العزيز" جزاك الله كل خير.

❖ إلى من شاركوني مراحل حياتي إخوتي "حياة _زينب_صابرين _مراد _عبد الفتاح" لهما كل الشكر و الامتنان.

❖ وإلى عمتي الغالية شافاها الله، وجدي رحمه الله واسكنه فسيح جنانه"

❖ ومن كان بجانبي طيلة مشواري الدراسي " أسامة " وصديقاتي العزيزات" إيمان _فرح _أية_سمية ..."

❖وإلى كل من عرفتهم في مسيرتي الدراسية، وكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل خاصة صديقتي و رفيقة المشوار " شيماء "

❖إلى رياحين حياتي "مرام _سارة _عبد المنعم_ ابتهال" حفظهم الله ونور طريقهم

❖ " نور "

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أغلى وأثمن جوهرتين في هذا الوجود قرة عيني والدي العزيزين، إلى الذي كان سندا وضحى طيلة دربي الدراسي وربابي على مكارم الأخلاق مثلي الأعلى وقدوتي الحسنة إليك أبي جزاك الله خيرا.

إلى الوالدة والأم الغالية العزيزة إلى صاحبة القلب الحنون أطال الله في عمرك وأدام عليك الصحة والعافية.

إلى أغلى هبة من الخالق الذين لا تكتمل سعادتي إلا معهم جدتي وإخوتي " محمد_ وليد _أحمد _إسلام" و إلى خطيبي حمزة .

والى الكتاكيت "تسنيم_بسمة_جنى"

إلى من أتقاسم معها ثمرة هذا العمل صديقتي نور,

وإلى كل من تجمعني به صلة الرحم والصداقة ومن كانوا برفقتي وإلى كل الأساتذة الكرام.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل.

شيماء

مقدمة

التعريف بالموضوع وأهميته :

عرف المشرق الإسلامي حركة علمية واسعة ، جعلت منه وجهة للكثير من الفقهاء وطلاب العلم من كافة الأقطار الإسلامية ،وكانت الحجاز أول وجهة يقصدها الأغلبية منهم لأداء فريضة الحج كهدف أولي، لتنطلق منها العديد من الرحلات قصد الاستفادة و الإفادة في شتى العلوم و الثقافات، مع العلم أن بلاد المشرق لم تستأنف التدريس لمذهب عن غيره، بل ضمت و رحبت بمختلف المعتقدات و المذاهب (المالكية،الشافعية...) .

ومع الضعف الذي عرفته بلاد الأندلس خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، قرر العديد من الطلبة الهجرة إلى المشرق من اجل توسيع و تنوير الأذهان ، و اكتشاف الآفاق لرصد مختلف ثقافات الأمم وحضاراتها، لينبغ عدد منهم إلى مرتبة الفقيه ويدرس في أكبر مدارس المشرق ليكون الفقيه أبو بكر الطرطوشي كمثال لأحد الذين تكبدوا مشقة الترحال رغبة في تحصيل المعارف، ليستأنف بعد ذلك عملية التأريخ في تصوير الحياة العامة للبلاد في الفترة التي عاصرها .

أما عن أهمية الموضوع فهي تتمثل في التعريف بالعلامة أبو بكر الطرطوشي الذي عرف بشخصيته الفذة في مناهضة الحكام الظالمين، من خلال شرح لأبرز ما ينطوي عليه كتابه المشهور"سراج الملوك" إلى جانب معرفة الدور العلمي له ببلاد المشرق خاصة مصر بداية القرن 5هـ/11م لتتيح لنا الفرصة في تسليط الدراسة على الحالة السياسية و الثقافية بالمشرق عامة من خلال ما جاء به الطرطوشي.

أسباب اختيار الموضوع :

يعتبر موضوع صورة المشرق الإسلامي من خلال كتابات الطرطوشي، موضوع يعكس لنا دور الرحلات التي قام بها طلاب العلم من بلاد الأندلس نحو بلاد المشرق قصد الإلمام بالعلوم و

التفقه على يد أكبر المشايخ، ليصبح لهؤلاء دور الريادة العلمية ببلاد المشرق ومن ثمة التأليف و التأريخ لأحوال البلاد .

إشكالية البحث:

وللبحث في موضوع المذكرة التي تحمل عنوان " صورة المشرق الاسلامي من خلال كتاب _سراج الملوك _ لأبي بكر الطرطوشي (451_520هـ/1059_1126م) طرحنا مجموعة من الإشكاليات: كيف نشأ أبو بكر الطرطوشي؟ وماهي ظروف رحلته إلى بلاد المشرق الإسلامي؟ وكيف انتقل من مرحلة التعلم إلى درجة التدريس ؟و دوره في تصوير اهم الأحداث التي شهدتها بلاد المشرق الإسلامي خلال تلك الفترة؟

خطة البحث :

وللإجابة على هذه التساؤلات، اتبعنا خطة تكونت من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة .

أما المبحث الأول الذي يحمل عنوان "الطرطوشي حياته و مؤلفاته"، فقد تناولنا فيه البيئة التي نشأ فيها، والتكوين العلمي الذي لقيه في مدينة طرطوشة، و ذكرنا أشهر أساتذته من الأندلس والمشرق ثم تطرقنا إلى مؤلفاته وتلاميذه في كل من المغرب و الأندلس والإسكندرية .

وحمل المبحث الثاني عنوان ، "صورة الحجاز و العراق" ، فقد قسمناه إلى قسمين، آما القسم الأول فقد حمل عنوان "صورة الحجاز" تناولنا فيه الحياة السياسية ، ثم الحياة الثقافية لبلاد الحجاز، لننتقل في القسم الثاني الى صورة العراق ،تناولنا فيه الحياة السياسية والثقافية ودور هذا الأخير في الجانب العلمي بالمدرسة النظامية .

وحمل المبحث الثالث عنوان "صورة بلاد الشام و مصر" فقد قسمناه إلى قسمين ،تناولنا في كل منهما الحياة السياسية و الثقافية والدينية ، بتسليط الضوء على الدور العلمي للطرطوشي في كل

من بلاد الشام و مصر من خلال تحليل ما ذكره لنا في كتابه "سراج الملوك" بالاعتماد على النصوص و الرسائل و بعض الملاحق .

وذيلنا بحثنا بخاتمة ضمناها بأهم النتائج التي خرجنا بها ،كما أثرينا بحثنا هذا بمجموعة من الملاحق والخرائط، وقائمة من المصادر والمراجع.

عرض لأهم المصادر و المراجع

اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة من اجل لم شتات الموضوع الذي يتميز بالتشعب وصعوبة التحكم فيه لندرة المادة العلمية . وفيما يخص المصادر نذكر :

كتاب "سراج الملوك" ،للمؤلف أبي بكر الطرطوشي ، وهو كتاب سياسي فقهي توعوي ، ذكر فيه أخبار الأمم وأمرائها ،كما أنه يحتوي على جل فكر الطرطوشي ، خاصة أن كتابه اتسم برسائل الوعظ و المدح التي كان يواجه بها الحكام ،كما تميز الكتاب أيضا في تصوير الأحوال السائدة بالمشرق و التعقيب عليها، فالكتاب مقسم إلى فصول من شأنها سهلت لنا عملية البحث عن المعلومات كما قمنا بتحليل مضمونه الذي يندرج في سياق موضوع بحثنا .

كما أن كتاب "العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " لمؤلفه عبد الرحمان ابن خلدون (ت808هـ/1405م) من أهم المصادر التي تناولت تاريخ المشرق و المغرب الإسلامي ،فلا يمكن لأي باحث في التاريخ من الاستغناء عنه، ونخص بالذكر الجزء الرابع الذي قدم لنا أخبار عن المشرق خاصة.

كما اعتمدنا على كتب الرحالة خاصة كتاب ابن جبير "رحلة ابن جبير " الذي طاف بلدان المشرق و سجل رحلته على شكل مذكرات يومية جمعها تلاميذته و نسخوها ، من خصائصها أنه وضع لكل بلدة تاريخ الزيارة باليوم و الشهر ، أجاد فيها وصف البلاد و العباد وأحوالهم الثقافية الأوضاع السياسية بالحجاز و بغداد و الشام و بعض و فيما جاء عن أمرائها ،إعتمدنا أيضا على

رحلة ابن بطوطة المصنفة تحت عنوان "تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأصفار" التي ابتدأت رحلته من أقصى الشمال الغربي إلى بلدان المشرق ،أمدنا هذا الكتاب بمعلومات وفيرة عن الحياة الاجتماعية بمكة و عن المدارس التي وجدت بالحجاز، و قد أفادتنا دراسة كتب الرحالة كثيرا في معرفة أحوال بلدان المشرق.

ومن كتب التراجم ، اعتمدنا على كتاب ابن خير الاشبيلي " الفهرسة" وهو من بين علماء الأندلس الذين يتميزون بسعة المعرفة ،تناول في كتابه ترجمة لأشهر العلماء خلال القرن 5 هـ/ 11م ، وقد ساعدنا في معرفة فقهاء تلك الفترة ،و وصفه للكتب و التعريف بأصحابها و مجمل المعارف التي درست .

وفيما يخص كتب الجغرافيا ، نذكر كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت626هـ /1228م) ، وهو من أهم المصادر الجغرافية التي اهتمت بتعريف المدن الإسلامية ووصفها سواء مشرقا أو مغربا ، فقد أفادنا في التعريف بمدن المشرق والأندلس ، كما اعتمدنا أيضا على كتاب"صفة جزيرة الأندلس" للحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) وذلك للتعريف ببلدان الأندلس، وبعض أخبار الطرطوشي بالمشرق .

هذا بالنسبة للمصادر المعتمدة، أما بالنسبة للمراجع ، فقد اعتمدنا على كتابين لجمال الدين الشيال تحت عنوان "أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر" الذي ركز في كتابه على التفصيل و الترجمة لشخصية الطرطوشي، لكن ما يعاب عليه أنه في الإحالة، يذكر الكتاب و المؤلف الذي اعتمد عليه فقط ،إلى أن هذا المرجع يحمل معلومات مهمة عن هذه الشخصية التي أثرت موضوع بحثنا، بالإضافة إلى كتابه الثاني "أعلام الإسكندرية " الذي قدم لنا شرح لمختلف مؤلفات أبو بكر الطرطوشي.

و اعتمدنا على كتاب " دمشق الشام في نصوص الرحالين" لأحمد الايبش تضمن هذا الكتاب معلومات وفيرة عن الشام من خلال ما أخذه عن الرحالة الذين كتبوا عن الوقائع و الأحداث الذين صادفوهم ليكون مرجع ثري بالمعلومات.

وكذلك اعتمدنا على مرجع مهم للمؤلف كرد علي ،كتاب "خطط الشام " الذي تطرق فيه الى تاريخ المنطقة الشامية منذ فجر التاريخ امتدادا لبداية الحروب الصليبية متطرقا في كتابه الى تاريخ السلاجقة، كما غاص في التعريف بالشام وسكانها .

كما اعتمدنا أيضا على مجموعة من مؤلفات سهيل طقوش و هي من أهم المراجع التي عملت على إثراء بحثنا ، ففي كتاب " تاريخ الدولة العباسية" اعتمدنا على الفصل الذي تناول فيه قيام السلاجقة بالعراق و الأوضاع السائدة لتلك الفترة ، وثاني مرجع كتاب " "السلاجقة في خرسان " الذي حمل في طياته دراسة شاملة للتاريخ السياسي لدولة السلاجقة في العراق منذ التأسيس حتى السقوط ، وأما عن كتاب " تاريخ الفاطميين " تناول هذا الكتاب التاريخ السياسي للدولة الفاطمية بمصر و المشرق الاسلامي و قد عمل هذا الكتاب على ابراز دور الوزراء و الحكام بمصر .

وكأهم المراجع التي اندرجت في موضوع بحثنا ما ألفه عبد الله عنان "تراجم اسلامية شرقية و أندلسية" تضمن هذا الكتاب ترجمة لأعلام الأدب و الفن و السياسة خاصة الجزء الثاني من الكتاب الذي يضم ترجمة لشخصيات المغرب و الأندلس .

الصعوبات التي واجهتنا :

واجهتنا صعوبات جمة أثناء قيامنا بهذا البحث و تمثلت في ضيق الوقت، و ندرة المادة العلمية من مصادر و مراجع عن هذه الشخصية ، وكذلك خلو المكتبة الجامعة من المراجع التي تخدم الموضوع وبعض المصادر لم نستطع تحميلها ونخص بالذكر الكتب الأخرى التي ألفها أبو بكر

الطرطوشي، فنجد أن المترجمين له لم يتعمقوا في الحديث عنه بل كانت معظم أقوالهم مختصرة في بعض أسطر على شكل تلميحات فقط .

المبحث الأول:

الطرطوشي حياته ومؤلفاته

1 – أصله ونشأته.

2 – تكوينه العلمي وأساتذته.

أ – تكوينه:

ب – أساتذته: – من الأندلس.

- من المشرق.

3 – مؤلفاته وتلاميذه:

أ – مؤلفاته.

ب – تلاميذه: – من المغرب والأندلس

- تلاميذه من الإسكندرية.

1/ أصله ونشأته:

هو أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري[1] الأندلسي فقيه الإسكندرية[2] وعالمها، وناشر السنة ، وقامع البدعة بمصر أيام الفاطميين[3]، والمشهور بإبن أبي رندقة[4]. ولد سنة451هـ/1059م بمدينة طرطوشة [5] ثغر مدينة سرقسطة[6]، نشأ بها وتلقى علومه الأولى بجامع المدينة الكبير[7].

يعرفه ابن بشكوال في كتابه الصلة بقوله: "كان إماما عالما زاهدا ورعا دينا متواضعا متقشف متقلل من الدنيا راضيا باليسير، وأخبره عنه القاضي أبو بكر بن العربي واصفا إياه بالعلم والفضل والزهد،فهذا الأخير كان بعيدا كل البعد عن ملذات الدنيا والأهواء بل كان تقيا منعزل عن الشبهات[8].

---

[1] وهو الاسم الكامل الذي عرف به في مصدره " سراج الملوك " العالم الفقية والزاهد الورع محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الطرطوشي المولود بطرطوشة.(انظر: الطرطوشي (أبو بكر محمد ابن الوليد): سراج الملوك، تح محمد فتحي أبو بكر، الدار النصرية اللبنانية، ط2، 1414 هـ – 1894م، ص 12).

[2] هناك اختلاف بين الروايات حول مؤسسها فقيل أنها:"إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد"، وقيل أن الاسكندر والفرمان أخوان من كل واحد منهما مدينة بأرض مصر وسماها باسمه.(انظر: ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله) معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت، 1977م، ص184).

[3] جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي ب. ط ، القاهرة، ص107.

[4]وهي لفظة إفرنجية قال بعض الإفرنج أن معناها رد تعال. (انظر: ابن خلكان (محمد ابن أبي بكر) وفيات لأعيان، تح إحسان عباس، دار صادر بيروت، ب, ط ، ج4، ص 265.

[5] مدينة كبيرة من مدن الأندلس تقوم على سفح جبل إلى الشرق من بلنسية وقرطبة بينها وبين البحر عشرين ميلاد. (انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4،ص).

[6]وهي المدينة البيضاء سميت بذلك لكثرة جبالها تقع شرق الأندلس على ضفة نهر كبير(انظر: الحميري (أبي عبد الله محمد):صفة جزيرة الأندلس، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1408هـ – 1988م ،ص96).

[7] الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان): سير أعلام النبلاء، تح شعيب أرنأوط، ج19، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405 هـ – 1984 م، ص 490_ 491.

[8]ابن بشكوال (أبو القاسم) الصلة ، تح بشار عواد معروف ، ج2، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010،ص211.

ويقول عنه المقري في كتابه نفح الطيب: " هو أبو بكر بن محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الطرطوشي صاحب سراج الملوك المعروف بابن أبي رندقة بالراء المفتوحة وسكون النون والطرطوشي بضم الطائين نسبة إلى طرطوشة من بلاد الأندلس[1].

كما وصف لنا أبي بكر بن العربي[2] أحد تلاميذه النجباء لبعض من صفاته بحكم اتصالها المباشر معه بقوله: " ومشيت إلى شيخنا أبي بكر الفهري يعني الطرطوشي – رحمة الله عليه – وكان ملتزما بالمسجد الأقصى طهره الله بموضع يقال له الغوير بين باب أصباط ومحراب زكرياء عليه السلام – فلم نلفه به واقتصصنا أثره إلى موضع يقال له السكينة فألفينا بها فشاهدت هدية وسمعت كلامه وامتلأت عيني وأذني منه (.....) [3] ، أثنى تلميذ الطرطوشي في مجمل قوله وكلامه على سعة علمه وتفقهه وأخذ منه كل ما كان يحمله هذا الفقيه فإبن العربي تلميذ نجيب أخذ عينها منهجه في معظم دراساته ولازمه أكثر من خمس سنوات ودرس عليه أكثر مؤلفات علم الكلام والجدل وهي علوم لم تكن الأندلس حينها تعرفها واختص به في علوم التفسير والحديث والتاريخ والسير[4]، فلما رجع ابن

[1] المقري (أحمد بن محمد التلمساني) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، ج2، دار الصادر، بيروت، 1996م، ص 85.

[2]هو محمد بن عبد الله بن العربي ولد سنة ثمان وستين وأربعمائة، فهو أندلسي من مدينة اشبيلية والده أبو محمد عبد الله بن العربي، سمع ببلده أبا عبد الله بن منظور ولازم ابن حزم سبعة أعوام، وهو عالم أديب وفقيه ارتحل إلى المشرق لطلب العلم وكانت أول رحلة له قصد الحج سنة 489هـ - 1096 م. (انظر: أبو بكر ابن العربي (أبو محمد عبد الله) قانون التأويل، تح محمد سليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط1، 1406هـ – 1986م ، ص 75 – 79).

[3] سعيد أعراب، مع القاضي أبي بكر ابن العربي،دار الغرب الإسلامي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت لبنان، 1407هـ – 1987 م، ص22.

[4] نفسه .

العربي إلى بلاده حمله الطرطوشي رسالة إلى الحاكم المغربي المرابطي[1] أبي يعقوب يوسف بن تاشفين[2]، تحمل نوعا من الوعظ والنصائح في أوامر ونواهي حدود الدين وأن يرعى الله في رعيته هذا ما دل على الثقة المبنية بين الأستاذ والتلميذ والعلاقة المبنية على الصدق والأمان[3].

ويذكر لنا الطرطوشي في كتابه "سراج الملوك " فيما يخص أسرته عن فرد واحد من أفرادها ألا وهو بن فرحون [4]، كان خال والدته ونفهم من خلال هذه القصة علمنا أن أسرة والدته كانت ذات جاه في سرقسطة، وبعض أفراد هذه الأسرة كانوا من رجال الحرب الشجعان، فهذه القصة الوحيدة التي رواها الطرطوشي عن أسرته، وأما والده فاسمه الوليد، وينتهي نسبه إلى قبيلة قريش من العربية[5].

في حين نجد أن مختلف المراجع التي أرخت له لم تذكر شيئا عن هذه الأسرة أو تلميحا عن أحد أفراد عائلته، فلا ندري إن ترعرع الطرطوشي في أسرة غنية في بحبوحة من الترف والعيش؟ أم كانت عائلته بسيطة فقيرة؟

[1] يرجع اصل المرابطين إلى قبيلة لمتونة البربرية ، كان قائدهم يوسف ابن تاشفين ، لعبت هذه الدولة دور كبير في التاريخ الإسلامي بداية من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، حيث عملت على نشر الإسلام بين الشعوب الزنجية ،ثم توسعت نحو الشمال و استطاعها اميرها يوسف بن تاشفين من ظم الأندلس و القضاء على ملوك الطوائف .(انظر:احمد حمود،قيام دولة المرابطين،دار الفكر العربي،القاهرة،ص2_3).

[2] هو أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن ابراهيم، بن ترقوت،بن أرتقن،بن منصور، بن مصالة،بن أمية الحميري، ولد سنة 400هـ /1009م، من قبيلة لمتونه يعرف بأمير المسلمين المرابطين، بطل شجاع،حكم كبار مدن الأندلس،ومصر والشام، توفي سنة 500هـ/1107م.(انظر: الذهبي،الصدر السابق،ص252 ؛ عبد الله عنان،المرجع السابق،ص225).

[3] الطرطوشي،سراج الملوك،ص29.

[4] هو إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون ،برهان الدين الحميري،عالم باحث ولد ونشأ ومات في المدينة وهو مغربي الأصل ينسب إلى يعمران بن مالك ،رحل إلى مصر والقدس والشام سنة 792هـ /1390م ،وتولى القضاء بالمدينة.(انظر:الزركلي(خير الدين محمود) :الأعلام ، دار العلم للملايين،ط7،1982م،ص52).

[5] جمال الدين الشيال، أبو بكر الطرطوشي لعالم الزاهد الثائر ، دار الكتاب العربي، د م ط ، ص 10.

وباستقرار الطرطوشي بالإسكندرية، تزوج هذا الأخير من سيدة تقية، من بني عوف، وهي خالة فقيه الإسكندرية وعالمها أبي الطاهر بن عوف[1] تلميذ الطرطوشي وخليفته فيما بعد، فأطلقت يده في أموالها، وتحسنت أحواله، ووهبت له دارا من أملاكها فأخذ الطابق الأسفل مدرسة ليلقي فيها الدروس واستضافة طلاب العلم وأما الدور الأعلى مسكنا لهما[2].

اما عن وفاته، فيذكر المقري في كتابه" نفح الطيب "أن وفاة أبا بكر الطرطوشي كانت بالإسكندرية في شعبان وقال: " في جمادى الأولى سنة عشرين وخمسمائة وزرت قبره "[3].

ويقال أنه توفي في السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة 526 هـ/1132م ، وهو في التاسعة والستين من عمره ودفن بمقبرة وعلة قريبا من البرج الجديد، وقد عرف قبره فيما بعد، وأقيم عليه مسجد يسمى مسجد الطرطوشي، وهو ما يزال قائما إلى يومنا هذا[4].

و وصف هذا المسجد بأنه دون قبة أو مئذنة ، وهو لا يليق بعالم صوفي مسلم ملأ الدنيا في حياته، وضريح الطرطوشي من الصعب أن تجده في الإسكندرية إلا بعد عناء وطول سؤال متعب في البحث عليه، وهو في باب الكراسته بمنطقة وليس في الضريح من القديم سوى عمودين من الطراز الكورينتي ومقصورة خشبية، كما أنه ليس على الضريح كسوة كما هو الحال في أضرحة أولياء الله الصالحين[5].

2 – تكوينه العلمي وأساتذته:

أ . تكوينه:

[1] الطرطوشي، سراج الملوك، ص23.

[2] نفسه .

[3] المقري، المصدرالسابق،ج2، ص85.

[4] عبدالله عنان ، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية،مكتبة الخانجي، القاهرة،ج2، ص297.

[5] الطرطوشي، سراج الملوك ، ص17.

تعتبر الرحلات منبع تحصيل متنوع لمختلف العادات والأفكار منذ عصور الإسلام الأولى، وكان طلب العلم من أهم دوافع هذه الرحلات طلبا للأسانيد العالية ، والإجازات من الراسخين في كل فن وعلم، لتكون الوجهة بالخصوص إلى تلك العواصم العربية الشهيرة بالمشرق (الشام ، بغداد و الإسكندرية) ولا يعد الطرطوشي استثناء من هؤلاء، فقد تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ، ولازم مشايخ المسجد الكبير بالأندلس ، وأخذ أصول الأدب ، وفروعه، على يد أبي محمد ابن حزم[1] وتأثر به حسب ما ذكر المقري[2].

في حين لمح الطرطوشي في كتابه أن بن حزم توفي سنة 456 هـ/1064 م، ولم يكن الطرطوشي قد تجاوز 5 سنوات وكما لا يعقل ارتحاله إلى اشبيلية في هذا السن ومن المحتمل أنه قرأ كتب ابن حزم وأخذ على أحد تلاميذه، وذكر شخصيا بأنه قرأ الفرائض والحساب بوطنه في شبابه وهو في العشرين من العمر[3].

لم تكن المشرق عامة بعيدة عن طموح أبي بكر الطرطوشي، خاصة أنها كانت مزدحمة بالفقهاء والعلماء تنبض بالنشاط العلمي، فالعالم في هذا الوقت كان يعرف برحلته وشيوخه، وليس من الشك أن فريضة الحج كانت من أعظم البواعث، فبعد زيارة الحرمين الشريفين كان الكثير منهم يقصدون المقامات المباركة كالمسجد الأقصى بالقدس ثم يعرجون إلى دمشق متجهين إلى بغداد وكآخر محطة هي مصر، وهذا المسلك سلكه الطرطوشي منذ أن خرج من بلاده الأندلس[4].

---

[1] هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، لقب بألقاب كثيرة منها الإمام، الأوحد ،الحافظ،العالم ، ولد بقرطبة سنة 384هـ/994م ،اعتنق المذهب الظاهري ،وله كتب كثيرة في المنطق والفلسفة ،اشتهر بسعة علمه بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل العربية والأدب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة ،توفي سنة 456هـ.(انظر: ابن حزم(محمد علي)الفصل في الملل والاهواء والنحل، تح محمد ابراهيم نصير ،دار الجيل ، بيروت ، ج1،ص4_5 ؛ المقري،المصدر السابق، ص78_77).

[2] المقري، المصدر السابق،ص88.

[3] الطرطوشي،سراج الملوك،ص14.

[4] جمال الدين الشيال، الطرطوشي ،ص38.

ب_أساتذته :

أخذ الإمام الطرطوشي العلوم على ثلة من علماء عصره، فضلا عن فقهاء المشرق نجد الأندلس في أواخر القرن الخامس الهجري ، كانت تعج بالعلماء بل كانت مركزا من المراكز الفكرية خاصة في خضم الرحلات المتبادلة بين المشرق والمغرب، ونقل الطلاب الوافدين العلوم من الأندلس إلى بغداد والإسكندرية والعكس، وسنحاول الترجمة لبعض شيوخ الطرطوشي منهم:

أ – أساتذته من الأندلس:

لازم الطرطوشي أشهر مشاييخ الأندلس وهو في شبابه، وأخذ مجمل علومه الأولى في وطنه قبل انتقاله إلى المشرق، ومن هؤلاء نذكر:

_أبو الوليد الباجي:

هو الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد عابد أيوب بن وارث التجيني الأندلسي القرطبي الباجي صاحب التصانيف، ولد سنة 403 هـ/1012م، ارتحل إلى المشرق وتفقه على يد القاضي أبي الطيب الطبري ثم رجع إلى الأندلس بعلم غزير[1].

يعتبر الباجي أول من أخذ عليه الطرطوشي ، فسمع وأخذ عن الباجي حوالي سنة 480 هـ / 1088م، فكان هذا الأخير تشد الرحال إليه وتفد جموع الطلاب من مشارق الأندلس ومغاربها بعد وفاة منافسه بن حزم سنة 456هـ/1064م[2] وذكر لنا المقري أن أبا الوليد الباجي رجع إلى الأندلس بعد ثلاثة عشر سنة بحرا من العلم ، وما يعتز به أن حافظ المغرب والمشرق أمثال عبد الله ألحميدي، وأبو بكر الطرطوشي وغيرهم[3] ،توفي أبو الوليد الباجي سنة 474 هـ /1082 م بألمرية.

[1] الذهبي،المصدر السابق ،ج18،ص 535_545.

[2] الطرطوشي،سراج الملوك،ص14.

[3] المقري،المصدر السابق،ص201.

_أبو عبد الله الحميدي:

هو أبو عبد الله بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن يصل عربي، كانت عائلته تسكن محلة الرصافة بقرطبة[1] تحول والده منها إلى جزيرة ميورقة[2] التي ولد فيها حوالي سنة 420هـ/1029م وينسب إلى جده حميد الأندلسي ،سمع بالأندلس من ابن عبد البر وابن حزم ولازمه وقرأ عنه مصنفاته وأخذ كثيرا من عنده ، حتى أصبح على مذهبه وصاحبا له، رحل سنة 447هـ/1056م [3].

ظل هذا الأخير متأثرا كثيرا بابن حزم حتى قال عنه: " ما رأينا مثله – رحمه الله – فيما اجتمع له، مع الذكاء وسرعة الحفظ والتدين "، ومن كثرة إعجاب الحميدي بأستاذه وعلمه ترجم له في كثير من الصفحات في كتابه وتفنن في الإطناب على إمامه الكبير المشهور بتصانيفه الجمة[4].

ذكرت المصادر بأن الطرطوشي، اخذ الأدب من أبي محمد بن حزم، فمن المحتمل أنه قرأ لأحد كتب من كتبه المشهورة نقلا: عن أحد تلاميذه، ومن خلال ما ذكرنا تبين أن الحميدي تأثر بابن حزم وترجم له وكان من أقرب تلاميذه والأرجح أن الطرطوشي أخذ أدب بن حزم نقلا عن الحميدي ، توفي هذا الأخير 17 ذي الحجة 488 هـ الموافق ل 1095م ، صلى عليه أبو بكر الشاشي، ودفن بمقبرة باب أبرز[5].

---

[1] مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها ملوك بني أمية ، وبينها وبين البحر خمسة أيام.(انظر:الحموي،المصدر السابق،ج4،ص324).

[2] هي جزيرة تقع شرق الأندلس ،كانت قاعدة ملك مجاهدي العامري ينسب إليها يوسف بن عبد العزيز اللخمي الميورقي الأندلسي، الفقيه المالكي.(انظر:الحموي،المصدر السابق،ج5،ص245).

[3] الحميدي (ابوعبدالله):جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس،تح محمد بشار عواد،دار الغرب الإسلامي،تونس،1489هـ-2008م،ص6.

[4]المقري،المصدر السابق،ص113.

[5] الذهبي ، المصدر السابق ،ج19،ص126 ؛ المقري، المصدر السايق، ص86 ؛ وديع واصف، ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق، المجمع الثقافي، أبو ظبي الإمارات العربية، د م م ، 1421 هـ – 2000م، ص55.

ب – أساتذته من المشرق:

بعد أن تفقه الطرطوشي على يد أساتذته في الأندلس، ارتحل بعدها إلى المشرق ليستكمل دراسته ويتتلمذ على يد علمائها وفقهائها في المشرق عامة وبغداد خاصة، حيث كانت هناك المدرسة النظامية التي تنسب إلى " نظام الملك "، وهذه المدرسة كانت المركز الرئيسي للحركة العلمية هناك، فقد تعلم الطرطوشي بها وأخذ عن أساتذتها، أشهرهم:

_أبو بكر الشاشي:

تتلمذ على يد أبي إسحاق الشيرازي، و هو العلامة الفقيه الأصولي اللغوي أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل بن الشاشي الشافعي القفال الكبير[1]، إمام وقته، له كتاب محاسن الشريعة و تصانيف كثيرة، تعين في الفقه بالعراق، وتولى التدريس في المدرسة النظامية ببغداد سنة 504هـ/ 1110 م، بعد وفاة أستاذه أبو إسحاق الشيرازي أعيد أبو بكر الشاشي للتدريس بها، وهو من أشهر الأئمة الذين درس على يدهم الطرطوشي[2].

_أبو إسحاق الشيرازي:

يكنى بأبي إسحاق، ويلقب ب " جمال الدين أبو عبد الله محمد الشيرازي ، بعد أن نال من العلم مرتبة، طلب العلم بعد أن توجه إلى العراق ، فقصد بغداد في 415هـ/ 1025م، وهو في سن 22 سنة، كان الطبري[3] من أكبر أساتذته وبعد وفاة الطبري تولى إسحاق العلم بين فقهاء مذهبه،

---

[1] أبو بكر الشاشي مقاصد الشريعة، تح أبو عبد الله محمد علي سمك،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، 2007م/1428هـ ،ص6.

[2] جمال الدين الشيال، الطرطوشي ،ص19.

[3] هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، الإمام الجليل، صاحب التصانيف البديعة، أحد أئمة الدنيا علما ودينا. (انظر: الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) تاريخ الأمم والملوك، بيت الأفكار الدولية، ط2، الأردن، 224 – 310هـ، ص6).

حتى أن الوزير"نظام الملك"[1] لما بنى المدرسة النظامية ولى أبا اسحاق شيخا عليها، فقال تلميذه الطرطوشي: "كان في بغداد شاعر مفلق يقال له عاصم، فقال يمدح الشيخ أبا اسحاق[2]:

تراه من الذكاء نحيف الجسم عليه من توقده دليل

إذا كان الفتى ضخم المعالي فليس يضيره الجسم النحيل

– أبو العباس الجرجاني:

هو أحمد بن محمد الجرجاني وكنيته أبا العباس، رحلته الأولى كانت إلى بغداد في شبابه حيث تفقه على يد أبي إسحاق الشيرازي وسمع الحديث من جماعات كثيرة، وكانت رحلته الثانية بهدف التعليم والقضاء، درس في البصرة سنة 472هـ/ 1080م، ومن أشهر تلاميذه السمرقندي[3] ، بلغ الجرجاني درجة رفيعة من العلم عين قاضيا بالبصرة، انتشر علمه و كتبه في الفقه والأدب وغيره[4]، توفي الجرجاني سنة 812هـ/ 1413م[5].

اندمج أبو بكر الطرطوشي في هذه الحياة العلمية النشيطة واستمع إلى هذه النخبة الممتازة من العلماء الأجلاء، مساهما في حلقاتها فيروي في كتبه شعرا كثيرا سمعه من بعض هؤلاء الشيوخ من أمثال أبي العباس الجرجاني وغيره[6].

---

[1] الوزير الكبير ،نظام الملك، قوام الدين أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، من صفاته انه سعيد،محتشم، عاصر المجالس بالقراءة والتفقه، انشأ المدرسة الكبرى ببغداد ، وأخرى بنيسابور.(انظر:الذهبي،المصدر السابق،ج19،ص94).

[2] جمال الدين الشيال،العالم الزاهد الثائر،ص20.

[3]هو نصر بن محمد بن إبراهيم الخطاب السمرقندي التوزي البلخي، وقيل: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي. (انظر: السمرقندي (محمد بن أحمد بن إبراهيم)، تفسير السمرقندي، تح الشيخ علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1413هـ – 1993م، ص6).

[4] عادل بن عبد الرحمان العبسي التحرير في الفقه لأبي العباس الجرجاني،رسالة لنيل شهادة الماجستير في الفقه وأصوله ،جامعة الملك سعود،1476هـ،ص14_33.

[5] كارل بروكلمان ،تاريخ الأدب العربي،دار المعارف،ط3،ج5،ص313.

[6] جمال الدين الشيال، الطرطوشي ، ص 20 .

اتجه الطرطوشي إلى التصوف بعد تعلمه على شيوخه في المشرق وبالخصوص في بغداد، فقد ناقش موضوعات مع أساتذته على الحياة الدنيا وقيمتها مقارنة بدار الآخرة، كما أن تقشف العلماء وزهدهم أثرت فيه تأثيرا كبيرا، وكان اعتقادهم أن الحياة نعيم زائل وتفرغهم للعبادة وذكر الله بالإضافة إلى الشعر الذي سمعه عن شيوخه العراقيين، بدأ الطرطوشي يلتزم بالبعد عن مباهج الدنيا ، والإقبال على حياة الزهد بالرغم أنه كان مالكي المذهب، إلا أنه أخذ عن فقهاء الشافعية والحنابلة[1].

3 – مؤلفاته وتلاميذه:

أولا/ مؤلفاته:

قضى الطرطوشي شبابه كله وهو يرتحل من الأندلس الى المشرق، وبالتالي لم يشرع في التأليف والتصنيف حتى أصبح ملما بالعلوم، عالما فقيها ينشر العلم ويشتغل في التدريس بالشام، ولم يبدأ مرحلة التدوين إلا بعد استقراره في الإسكندرية وهو في الأربعين من عمره ومع ذلك ترك لنا حصيلة علمية وافرة من المصنفات، فحياة الارتحال لم تتح له فرصة للتفرغ للكتابة، والأرجح أن لكل مؤلف ظروف وأسباب دفعته للتأليف[2].

ومن خلال قائمة المؤلفات التي ذكرتها المصادر، ونسبها إلى الطرطوشي وكذلك بعض المصادر المتوفرة منها، ما عرف عنه أنه رجل نشيط، له مؤلفات عديدة حيث أحصيت له 22 مؤلفا، والموجود منها تسعة ، أما الباقي مفقود، فبعض هذه المؤلفات تتمثل في علوم التفسير ومسائل الخلاف ومن هذه الكتب نذكر:

_سراج الملوك:

[1] الطرطوشي،سراج الملوك،ص15_ 16.

[2] جمال الدين الشيال ، الطرطوشي ،ص74.

أشهر ما كتب الطرطوشي[1]هو كتاب سراج الملوك ، بعد المحنة التي تعرض لها أي بعد إطلاق سراحه من المعتقل بالفسطاط ، حيث قدمه كهدية إلى الوزير المأمون البطائحي[2]، وكتب " ولما رأيت الأجل المأمون ، تاج الخلافة ، عز الاسلام ، ..... [3]".

قسم الطرطوشي كتابه إلى 64 بابا متعلقا بالسياسة وتدبير أمور الرعية ، فقال في مقدمة الكتاب:" إني نظرت في سير الأمم الماضيين والملوك الغالية وما وضعوه من السياسات في تدبير الدول و التزموه بين القوانين في حفظ النحل فجمعت ما انطوت عليه سيرهم خاصة من ملوك الطوائف وحكماء الدول، فوجدت ذلك في ست من الأمم، العرب، الفرس، الروم، الهند، والسند، (....)[4].

واعترف ابن خلدون بفضل أسبقية الطرطوشي في ارتياد هذا الموضوع ، وأنه من القلائل الذين سبقوه في التأليف في علم الاجتماع والعمران وقال أيضا: " إن الطرطوشي أصاب ووفق في تقسيم كتابه وتحديد موضوعاته لكنه لم يحسن علاج هذه الموضوعات أو التفكير فيها أو عرضها " ، كما قال: " حرم على الغرض لم يصادفه ولا تحقق قصده ولا استوفى مسائله ". وقال أيضا : " حرم أبو بكر الطرطوشي في كتابه سراج الملوك وبوبه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومسائله، ولكنه ولم يصادف فيه الرمية ولا أصاب الشاكلة ولا استوفى المسائل (....) وإنما هو نقل وترغيب شبيه بالمواعظ "[5].

---

[1] جمال الدين الشيال ، الطرطوشي ، ص5.

[2]وزير الديار المصرية في العهد الفاطمي وهو الملك أبو عبد الله المأمون البطائحي، نشأ المأمون فقيرا صعلوكا، فكان حمالا في السوق بمصر، فدخل مرة إلى دار الأفضل أمير الجيوش مع الحمالين فرآه الأفضل شابا، خفيف الحركات، فترقى به الحال وتولى منصبه. (انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج11، ص553).

[3] جمال الدين الشيال ، الطرطوشي ،ص82.

[4]الطرطوشي ، سراج الملوك ،ص6.

[5] ابن خلدون (عبد الرحمان): المقدمة: تح عبد الله الدرويش، دار يعرب، 1465 هـ – 2004م، ج1، ص131 -132.

إذن سراج الملوك هو كتاب حافل بالقصص الممتعة ، والأخبار الطريفة، والنوادر الشائقة، كما اعتمد فيه الطرطوشي كثيرا على تجاربه المفيدة ونظرته السديدة وأرائه القيمة، وهذا ما يدل على تطلعه الواسع واكتسابه لمعارف شاملة في مسائل الفقه والشريعة وتاريخ وأدب، ومن الفصول القيمة في كتابه، الفصل الذي يدل على فضل الولاة والقضاة ، وبعد تقسيم الطرطوشي لكتابه كرر فيه بعض العبارات لقصة وحكايات في أكثر من موضع في كتابه وبالتالي هو من الكتب الطريفة في التراث الإسلامي[1].

_رسالة في نقد كتاب إحياء علوم الدين للغزالي:

بعثها الطرطوشي إلى عبد الله بن مظفر، يجيبه فيها عن حقيقة الغزالي وكتابه – الإحياء[2] – فيقول: "سلام عليك فأما ما ذكرت من أمر الغزالي، فرأيت الرجل ولكنه فوجدته رجلا جليلا من أهل العلم ، ثم تصوف فهجر العلوم وأهلها ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان ، فإن كتاب إحياء علوم الدين عهد فيه على مرامز الصوفية وكان غير أنيس بها ولا خبير فيها، فسقط على رأسه وامتلأ كتابه هذا بالكذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأفتى الطرطوشي في ذلك بإحراق الكتاب لما فيه من أفكار باطنية[3]وهو كتاب معروف في مختلف المصادر[4] ويعارض كتاب الإحياء للغزالي[5].

[1] جمال الدين الشيال، الطرطوشي،ص86.

[2] جمال الدين الشيال،أعلام الإسكندرية في العصر الاسلامي،كلية الأدب لجامعة ، الإسكندرية، د م ط ، ص83.

[3] ابن العربي،المصدر السابق،ص55_57.

[4]الطرطوشي،سراج الملوك،32.

[5]هو العلامة محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد عرف ب"حجة الإسلام" فيلسوف متصوف، ولد سنة 450هـ_505م /1058_1111م.(انظر:الغزالي (ابوحامد) خواص القران، تح مجدي محمد السهاوي، د س ط،ص7_8).

ذكره الحميري[1] في كتابه " صفة جزيرة الأندلس " في ترجمته للطرطوشي، قائلا: " وعاصره أي الطرطوشي للغزالي، وله في إحيائه كلام، وكان منحرفا عنه، سيء الاعتقاد فيه .. " وذكره الضبي كذلك في كتابه" بغية الملتمس" فقال: " وللطرطوشي، كتاب كبير يعارض به كتاب الأحياء، رأيت منه قطعة يسيرة"[2].

–كتاب مختصر تفسير الثعالبي:

هذا التفسير الكبير اختصره الطرطوشي في كتاب خاص أثناء مقامه بالشام، درسه بالمسجد الأقصى، ويوجد نسخة مخطوطة من الجزء الثاني من هذا المختصر[3]، هذا التفسير أسماه صاحبه " الكشف والبيان في تفسير القرآن " وينسب إلى الثعالبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد ابن إبراهيم النيسابوري ، لما يحويه من أحاديث الإسناد، ، فضلا عن ضمه للمسائل الفقه والمواعظ[4] ، طلعت دواوينه في المشارق والمغارب المعروف بالنيسابوري المتوفي سنة 427 هـ/1036 م[5].

يؤكد أبو محمد بن خير في فهرسته عن انتساب هذا الكتاب للثعالبي في قوله:"كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن"[6]، ومختصر هذا الكتاب كان من تأليف أبي بكر الطرطوشي ذكر هذا بن خير في كتابه بما حدثه به بن العربي في قوله: " حدثني به بن العربي قائلا: حدثني به مختصره شيخنا

---

[1] الحميري،المصدر السابق،ص125.

[2] الضبي(احمد بن يحي بن عميرة) ، بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس ، تح إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصرية، مج 14 القاهرة ، 1410هـ/1989م ،ج1 ، ص179.

[3] الضبي ، المصدر السابق ، ص31.

[4] عبد الله بن عواد بن فهد الجهني، الكشف والبيان عن تفسير القران، أطروحة ماجستير، جامعة ام القرى، السعودية ، 1429هـ_1430هـ،ص41.

[5] ابن خلكان، المصدر السابق،ج3،ص178.

[6] ابن خير الاشبيلي (أبو بكر محمد بن خير): الفهرسة، تح بشار عواد معروف – محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2009، ص92.

الزاهد الإمام أبو بكر الطرطوشي في مهد عيسى بالفسيفساء من المسجد الأقصى في رمضان سنة 487هـ /1094م ، بحضرتي وقراءتي له عليه "[1]، يتميز المختصر الذي توجد منه نسخة بالقاهرة بالكتابة تحت العنوان بخط مخالف لهذا الجزء والجزء الذي يليه، وتصدق به إلى جامع شيخونة وتحت يد إمامه[2].

_شرح رسالة أبا زيد القيرواني:

وهي إحدى المؤلفات المشهورة للطرطوشي[3]،والأرجح أن يكون هذا الشرح لبعض الدروس التي كان يلقيها في المذهب المالكي في مدينة الإسكندرية[4]، ومن خلال ما ذكره لنا الأقفهسي قول الطرطوشي في شرحه إحدى المسائل لرسالة ابن أبي زيد القيرواني[5]: " إذا سلم الإمام فلا يثبت في مجلسه بعد سلامه، فذلك بدعة إلا أن يكون بمحله من الأرض في غير المسجد فذلك واسع، وأما أئمة المساجد فلا ينبغي لهم ذلك ". وفي شرحه ذكر ما قاله سحنون: "أكره النفل في المحراب، وما جاء به ابن القاسم وأشهب أنه لا يجوز ولم يكن سنة الأئمة الذين مضو في نفس السياق قال الرسول – صلى الله عليه وسلم –:" جلوس الإمام بعد سلامه في محرابه جفاء منه وخديمة به وكأنه قعد على

[1]ابن خير الاشبيلي ،المصدر السابق ، ص99.

[2]جمال الدين الشيال، الطرطوشي ، ص76.

[3]المقري،المصدر السابق،ص88.

[4]الطرطوشي،سراج الملوك،ص32.

[5] هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمان، القيرواني، النفزي، عالم أهل المغرب وإمام المالكية في وقته ولقب بمالك الصغير، قال عنه القاضي عياض، إمام المالكية في وقته وقدوتهم جامع مذهب مالك وشارح لأقواله واسع العلم، كثير الحفظ قائما بالحجة عليه، من أشهر تأليفه الرسالة، أوضح عرض للفقه المالكي، توفي بالقيروان 386هـ (انظر:فركوس (محمد علي) منتهى البيان، دار العواصم للنشر والتوزيع، الجزائر، 1440 هـ -2019م، ص 40).

جمرة في النار، وقد تكلم الطرطوشي في آخر شرحه بعد استناده على هذه الأقوال ذكر كلاما شافيا فيما يخص جلوس الإمام في المحراب للدعاء وختمها بقوله المؤيد لهذه الأحكام[1]".

_الكتاب الكبير في مسائل الخلاف:

ويسمى أيضا التعليقة في الخلافات في الكثير من المراجع، فالطرطوشي تلقى أصول الخلاف منذ صباه المبكر وفي وطنه الأندلس على يد أستاذه أبي الوليد الباجي، وهي أولى العلوم التي تلقاها

ألف هذا الكتاب في خمسة أجزاء ، وذلك بعد أن أتقن وحصل علومه في بغداد والبصرة ونال بسطة في العلم أثناء مكوثه بالإسكندرية، إلى أن أصبح أستاذا ومرجعا في هذا العلم[2].

كتاب الحوادث والبدع:

ألف الطرطوشي كتابه المشهور المعروف " الحوادث والبدع " على قواعد مذهب الإمام مالك، هذا الكتاب من أهم الكتب وقد حققه أبو الحارث الحلبي ، على أربعة نسخ وقدم له وضع فهارسه،

من الكتب الثمينة في تراث الغرب الإسلامي نشر هذا الكتاب من ثلاثين سنة في تونس[3] ، نوع المؤلف في هذا الكتاب بين التدليل والتحليل، السرد والمناقشة في مواضيعه المطروحة يذكر البدعة ثم يبين وجه مناقضتها للشريعة ، ثم يأتي بالدلائل على ذلك بوضوح وجلاء بعيدا عن أي تعصب مذهبي، أو تقيد بآرائه، ليدعم أقواله بالنقل عن بعض مشاييخه مشافهة، مبينا آراءهم مسجلا وقائع هامة تفيد الباحثين كافة .

[1] الاقفهسي(ابو الفتح محمد) أحكام المأموم والإمامة ، تح علي بن الحسن الحلبي، دار بن الجوزية، ط3، جدة الرياض، 1419هـ/1998م ،ج1، ص5-6.

[2] الطرطوشي،سراج الملوك،ص32.

[3] الطرطوشي (أبو بكر محمد) لحوادث والبدع، تح أبو الحارث الحلبي، دار ابن الجوزية، ط3، جدة الرياض، 1419هـ – 1998م،ج1،ص5.

لمح لنا أبو الحارث الحلبي الأثري في مقدمته أن هدف الطرطوشي من هذا الكتاب، هو إقامة مجتمع مستقيم في عقيدته، وسلوكه اليومي ويعد كتابا أصيلا في بابه نقل عنه الكثير من العلماء، ليدرج بعدها لمحة عن الطرطوشي حياته، ومؤلفاته، فتلاميذه[1]، ونوه الطرطوشي في تمهيده للكتاب عن سبب تخصيص هذه المؤلفة لمنكرات وبدع تلك الفترة التي عاصرها بنبذها وإنكارها بالكتاب والسنة، ليقسم الكتاب إلى أربعة أبواب، خصص الباب الأول للقرآن، والباب الثاني للتحذير من الأهواء والبدع عموما، ليتطرق في الباب الثالث إلى الحديث والتحليل حول ما ذكر، ليخصص الباب الرابع لضرائب البدع التي صادفها إنكار العلماء لها كالقرآن بالتطريب والغناء .... [2].

_اختصار كتاب أخلاق الرسول:

كتاب أخلاق الرسول لابن حيان [3] اختصار الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي، وذكره ابن خير الاشبيلي أن ابن العربي حدثه عنه نقلا: عن الطرطوشي، وقال وحدثني بالأصل: " أبو الحسين عبد الملك بن محمد الصدفي قال: قرأت جميعه على التميمي حدثني به الحارث عن بن حيان"[4].

_رسالة أبو بكر الطرطوشي إلى ابن ناشفين:

وهي رسالة طويلة ،في نحو عشر صفحات كتبها الطرطوشي للملك المرابطي ابن تاشفين، تحمل وصايا ومواعظ لتقوى الله، وطاعته[5]، أرسلها الفقيه مع تلميذه ابن العربي وفي ختام تلك الرسالة

[1] الطرطوشي،الحوادث والبدع، ص6.

[2] نفس المصدر ،ص22.

[3] هو عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ، توفي سنة 329 هـ – (انظر: ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، ص341).

[4] ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق، ص341 .

[5] الطرطوشي،سراج الملوك،ص35 .

، أوصى الطرطوشي الملك المرابطي بالحفاظ والاهتمام بابن العربي لأنه من المجتهدين في العلم ومن الحارمين على مانصه الله تعالى ، ونبيه[1].

_كتاب الفتن:

ذكر فيه الفتن التي سادت في العالم الإسلامي، فكان كل من المشرق والمغرب يجتاز مرحلة تسودها الانقسامات والفتن في كل جزء من أجزائه، وهو من كتبه المفقودة[2].

_الكلام في الغنى والفقر:

جمعها أبو بكر الطرطوشي، و ذكرها ابن خير الاشبيلي في فهرسته نقلا: عن ما سمعه من ابن العربي[3].

_كتاب الأسرار:

ذكرتها المراجع التي أرخت للطرطوشي، فيبدو أن الكتاب يتناول موضوعات تتصل بالإنسان وبالعقل وبالقضاء والقدر ، أشير إليه في سراج الملوك في عدة مواضع قال مرة أثناء حديثه عن العقل " قد ذكرت في كتاب الأسرار حقيقة العقل وأقسامه.... "، و في مرة أخرى عن القضاء والقدر: "وقد كنت جمعت فيه كتابا من جملة كتابي في الأسرار: هل التوفيق مكتسب أو موهبة بلا سبب..."[4].

[1] جمال الدين الشيال، الطرطوشي ،ص108.

[2] الطرطوشي، سراج الملوك، ص34.

[3] ابن خير الإشبيلي، المصدر السابق ،ص373.

[4] جمال الدين الشيال، أعلام الإسكندرية، ص 82- 83.

_كتاب بر الوالدين:

عالج موضوع عقوق الوالدين ،وأورد فيها آيات وأحاديث وحكم[1].

ثانيا/ تلاميذه:

ومن خلال مكانة الطرطوشي في العالم الإسلامي ورئاسته الزعامة الفكرية ، خاصة بالإسكندرية ظهر عدد كبير من الطلاب الوافدين من مختلف الأماكن ، منهم اندلسين ومغاربة يترددون على مدرسة الطرطوشي وحلقات العلم التي كان يعرف بها ، من خلال منهجه الديني القائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبهذا المنهج نبغ من بين هؤلاء الطلاب علماء صالحين واخترنا من بينهم أربعة من النوابغ اثنين من أبناء المغرب والأندلس واثنان من الإسكندرية، نذكرهم:

أ . من المغرب والأندلس:

تتلمذ على يده العديد من الطلبة في المغرب والأندلس وساهم معهم في نشر العلم في أقطاب العالم الإسلامي منهم:

_أبو بكر بن العربي:

هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد ، بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري، نسبة إلى معافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة حيث ينتهي نسبه إلى قحطان

وكان والده من وجوه علماء اشبيلية ومن أعيانها البارزين وكان من أهل البراعة والتفنن[2].

[1]جمال الدين الشيال، الطرطوشي ، ص103.

[2]سعيد أعراب، المرجع السابق، ص9.

نشأ ابن العربي نشأة علمية وأقبل بهمة فتية على التفنن في المعارف وجمع أطرافها ،كان هذا الأخير متشوقا إلى لقاء العلماء قوي الميل إلى المشرق عظيم الشغف والإعجاب به، و كنا قد ذكرنا سابقا أن ابن العربي تتلمذ على يد أبي حامد الغزالي ببغداد ولازم بعدها أبا بكر الطرطوشي في بيت المقدس[1].

كما ذكر في كتابه قانون التأويل: " وانفتح لي به إلى العلم كل باب ونفعني الله به في العلم ويسر لي على يده أعظم أمل (.....)[2].

ب – تلاميذه من الإسكندرية:

نشر الطرطوشي في الإسكندرية نشاطا علميا وافرا، فتفقه على يده عدد كبير من الفقهاء، وتخرج على يده الكثيرون، أبرزهم:

_سند بن عنان:

هو أبو علي سند بن عنان بن إبراهيم بن حريز بن الحسين بن خلف الأزدي، كان أنبغ تلاميذ الطرطوشي، وأقربهم إليه، سمع منه ولازم حلقاته سنين طويلة ولم يأخذ عن أستاذه العلم وحده بل اقتبس من أخلاقه، وفضله، وزهده [3] ، لهذا وصفه ابن فرحون بأنه "كان إماما عالما زاهدا، ورعا دينا، متواضعا، متقشفا ،متقللا من الدنيا، راضيا باليسير منها " [4] هذه كانت صفات أبو بكر الطرطوشي التي أخذها عنه تلميذه سند بن عنان،وكان هذا الأخير يقول الشعر أحيانا، روى لنا ابن فرحون بيتين من شعره قال:

---

[1] الطرطوشي، سراج الملوك، ص29.

[2] أبو بكر بن العربي، المصدر السابق، ص435.

[3] الطرطوشي، سراج الملوك، ص28.

[4] ابن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص245.

وزائره للشبيب حلت بمفرقي فبادرتها بالتنف خوفا من الحتف[1]

كما اشتغل أيضا بالتأليف وألف كتاب شرح فيه " المدونة " سماه " الطراز " وكان فيه ثلاثين مجلدا إلا أنه توفي قبل إتمامه[2].

ظل سند بن عنان يدرس 21 سنة بعد وفاة الطرطوشي إلى أنه توفي سنة 541هـ /1047 م، ودفن بالقرب من قبر الطرطوشي، ولا زال مسجد القاضي سند ابن عنان موجدا حتى اليوم بشارع الباب الأخضر بالإسكندرية[3].

وذكر لنا ابن العربي في هذا الكتاب، في ذكر دخوله بيت المقدس إلى دور العالم الطرطوشي في تلقيته الدروس ومتابعته شخصيا لها، بحكم أن والد أبي بكر بن العربي قد أوصاه عليه،كما كان يحمل اتجاهه نوعا ما من الثقة ما دفعته إلى أن يرسل معه رسالة إلى ملك المغرب المرابطي فأكرمه الملك وعينه قاضيا لمدينة اشبيلية[4]، كما كثر حامدو هذا الأخير، وشامتوه، فقبض عليه وسجن بمراكش ولما أطلق سراحه قصد مدينة فاس ومات في طريقه إليها سنة 543هـ/1149م ودفن بها[5].

[1]ابن فرحون، المصدر السابق،ج2، ص399.

[2] جمال الدين شيال، العالم الزاهد الثائر، ص64.

[3] نفسه.

[4] بالكسر ثم السكون، وكسر الباء، وياء ساكنة ولام وياء خفيفة،هي مدينة جليلة ، تسمى حمص أيضا، قاعدة ملك الأندلس ،قريبة من البحر، يطل عليها جبل الشرف، ينسب اليها خلق كثير من أهل العلم منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب الاشبيلي ،لها أسوار حصينة. (انظر:الحموي،المصدر السابق،ج1،ص 195 ؛ الحميري،المصدر السابق،ص19).

[5]الطرطوشي، سراج الملوك، ص30.

_المهدي بن تومرت:

هو أبو عبد الله محمد بن عبيد الله بن تومرت البربري المصمودي[1] ينسب إلى قبيلة هرغة[2]، ولد سنة485هـ/1092م، ونشأ في قبيلته ثم رحل إلى المشرق طلبا للعلم، درس أيضا في المدرسة النظامية، وزار الإسكندرية ثم لقي بها أبي بكر الطرطوشي وتتلمذ عليه، وله مؤلفات منها: " كنز العلوم " وكتاب " أعز ما يطلب " ترجم هذا الكتاب الأخير إلى اللغة اللاتينية[3].

ومن صفات ابن تومرت كان خشن العيش فقيرا، قانعا باليسير لا لذة له في مأكل ولا مال ولا شيء غير رياسة الأمر، حتى لقي الله تعالى[4].

ذكر ابن خلدون أن ابن تومرت لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة ، وأخذ عنهم وأخذ عن رأيهم إلى تأويل الأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عنهم[5].

_أبو الطاهر بن عوف اسماعيل بن مكي:

هو عيسى بن عوف الزهري، وينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل عبد الرحمان بن عوف، وهو شيخ المالكية بالإسكندرية طيلة القرن 6 هـ/ 12م، ولد سنة 485هـ /1092م، وتوفي سنة

[1] الذهبي، المصدر السابق، ج19، ص 539.

[2] النجار عبد المجيد، المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الأزهر، 1403هـ – 1983م، ص 24.

[3]الذهبي، المصدر السابق، ص550.

[4]نفسه.

[5]ابن خلدون (عبد الرحمان)العبرو ديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ج6، 1421،2000م، ص 301_ 302.

581هـ/ 1186م، وعمره 96 سنة[1]،كان بن عوف ربيب الطرطوشي.

كما شهد نهاية الدولة الفاطمية وظهور صلاح الدين[2] في مصر، ثم زار الإسكندرية وحضر صلاح الدين دروس الطاهر بن عوف وسمعوا عليه معظم حلقاته التي تعلمها من أستاذه الطرطوشي، كان صلاح الدين يستجيب لرأي ابن عوف ومشورته وكان نشاط هذا الأخير غير مقتصر على التدريس فحسب بل شمل ميادين التأليف أيضا[3].

وفي الأخير نستنتج، ان المكانة العلمية لبلاد المشرق جعلت منها وجهة لطلاب العلم المتشوقين للتبحر في العلوم، خاصة الفقهية منها، مما شجع على ثقافة الترحال، والانتقال من بلد إلى آخر قصد الاحتكاك برجال الدين،خاصة آهل الحديث ،وأئمة الفقه، والانفتاح على مختلف العلوم هذا ما كانت تزخر به دول المشرق، لاسيما العالم ابو بكر الطرطوشي الذي انتقل من الأندلس إلى المشرق مع نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ليجتهد في بداية مشواره لحضور مختلف حلقات الذكر لكبار علمائها ،خاصة بالشام والعراق، منهم الشيرازي ،فضلا عن تكوينه الأول بوطنه على يد أبو الوليد الباجي، ليستأنف الطرطوشي التدريس في المدرسة النظامية ويزاول مهامه منتقلا إلى مصر ليتوافد عليه الطلاب بالآلاف، ففضلا عن نبوغه مرتبة التدريس ،عمل على تأليف عدة مؤلفات تعكس الواقع الذي كان يعيش فيه هذا الأخير، من أحوال سياسية واجتماعية ودينية في هذه الفترة.

---

[1] الطرطوشي، سراج الملوك، ص 29.

[2] هو يوسف بن أيوب بن شادى ،جده شادى من الأكراد ، صلاح الدين، أصله من بلدة دوين ،ولد سنة 532هـ/1137م بقلعة تكريت على نهر دجلة بين بغداد والموصل ،نشأ في كنف أبيه في مهاد العلم والتقى والفروسية، تجلى دوره في إنقاذ الشرق والإسلام من العدوان الصليبي وهو في السادسة والعشرين من عمره ، وحكم مصر والشام في عهده، عمل على استرجاع بلاد الشام من الصليبيين، توفي سنة 58هـ/1193م ، بدمشق.(انظر: ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص440 ؛ عبد الله عنان،المرجع السابق،ص5-53).

[3] جمال الدين شيال، الطرطوشي ، ص66.

المبحث الثاني:

صورة الحجاز و العراق.

1- صورة الحجاز

أولا: الحياة السياسية.

ثانيا: الحياة الثقافية و الدينية.

أ_ الحياة الثقافية.

ب_ الحياة الدينية.

2- صورة العراق:

أولا: الحياة السياسية.

ثانيا: الحياة الثقافية و الدينية:

أ_ الحياة الثقافية.

ب_ الحياة الدينية.

1_ صورة الحجاز

أولا: الحياة السياسية

يرجع أصل تسمية الحجاز حجازا لأنها حجز بين الغور[1] و الشام و قيل حجز بين نجد [2]و السراة[3]،و هي منطقة حاجزة بين اليمن و الشام مسيرة شهر ، قاعدتها مكة حرسها الله تعال لا يستوطنها مشرك و لا ذمي[4]،فمنذ زمن الرسول شهدت الحجاز رحلات منها و إليها ،ليصبح موقعها همزة وصل للمناطق المجاورة كمركز هام وطريق للقوافل التجارية،كما أنها بلدة عظيمة مقصد الحجاج ، و منبر من منابر العلم ،و قبلة لأهل الأرض و محط أنظار العلماء من مختلف الأمصار[5] لنخص بالذكر تلك الرحلات التي كانت من الأندلس إلى بلدان المشرق ، ومن الشخصيات التي عرفت صيتا كبيرا في هذا الجانب خلال القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ، الفقيه أبو بكر الطرطوشي الذي ابتدأت رحلته سنة 476 هـ/ 1084م ، الذي دخل مكة و أدى فريضة الحج ثم استقر بها مدة قصيرة[6]، و قد روى احد من درسوا معه في طرطوشة[7] عند أبي الوليد الباجي

[1]الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تح إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 189.

[2]هو اسم لأرض عريقة أعلاها تهامة و اليمن و أسفلها العراق و الشام، قال السكري حد نجد ذات عرق من ناحية الحجاز كما تدور الجبال معها إلى جبال المدينة و ما وراءها عرق من الجبال إلى تهامة فهو حجاز كله. (انظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 264).

[3]هو جبل من أعظم جبال العرب أقبل من الغور و اليمن حتى إلى أطراف واد الشام فسمته العرب بالحجاز لأنه يحجز من الغور و هو هابط و بين نجد و هو ظاهر . (انظر : الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 205).

[4] القزويني (زكرياء ابن محمود)، آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.س .ط، ص 84.

[5]حافظ محمد باشاه، الحجاز في أدب الرحلة العربي، أطروحة دكتوراه ، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، باكستان،2013م،ص89 -90 .

[6]الطرطوشي، سراج الملوك، ص 14.

[7]أحمد أبو كف، المرجع السابق، ص 148.

بمكة، وهو الحسين بن محمد بن فرو الصدفي[1]، قائلا : " و صحبته عند الباجي(ويقصد هنا الطرطوشي) و لقيته بمكة و أخذت عنه أكثر السنن[2]لأبي داوود التستري[3] ."

ذكر ابن خلدون[4] أن مكة لتلك الفترة قد تعاقب عليها في الحكم ثلاث أسر وهم من ذرية الحسن بن علي ومنهم، السيمانيون[5] من بني الحسن و الهواشم[6]، و ابتدأ حكم هذه الأسرة من جعفر بن محمد [7]، و انتهت إلى الناصر بن عيسى بن قاسم[8] لتأتي بعدهم أسرة بني قتادة[9]، ليكون للحجاز في هذا العصر إمارتان: إمارة مكة و كانت تتبعها قرى الطائف[10]

[1] هو الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو علي الحسين بن محمد بن فيرة بن حيون بن سكرة الصدفي الأندلسي السرقسطي، روى عن أبي الوليد الباجي و القروي حج سنة إحدى و ثمانين و لازم الشاشي خمس سنين و علق عنه تعليمته الكبرى في مسائل الخلاف، استشهد في معركة قتندة في ربيع الأول سنة 514 هـ . (انظر: الذهبي ، المصدر السابق، ج19، ص 376).

[2] الطرطوشي، سراج الملوك، ص 15.

[3] سهل بن عبد الله ابن يونس شيخ العارفين أبو محمد التستري الصوفي الزاهد صحب خالد محمد بن سوار، و لقى في الحج ذو النون المصري و صحبه (انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص 330).

[4]ابن خلدون، العبر، ج4، ص 127.

[5] من قبيلة قريش ،ينتسبون الى سليمان بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، ويطلق عليهم السيمانيون معظمهم موالي سود من الحبشة و الديلم و كان كبيرهم أخر المائة الثانية محمد بن سليمان و ليس هو سليمان بن داوود. (انظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص 128).

[6] قبيلة عربية من قبائل قريش ،هؤلاء الهواشم ولد أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد بن موسى، كان بينهم و بين السيمانيين فتنة و في سنة أربعة و خمسين طرد الهواشم بني سليمان من الحجاز. (انظر ابن خلدون، العبر، ج4، ص 123).

[7]ابن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن أبي طالب الحسيني. (انظر الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد لأمين، تح محمد حامد الفقهي، مؤسسة الرسالة، ج1، ص 440).

[8]هو مكثر بن عيسى بتن قتلة بن جعفر الحسيني المكي. (انظر: الفاسي، المصدر السابق، ج7، ص 274).

[9] يطلق عليهم القتاديون ، وهم قبيلة عربية من الاشراف الحسينيون ،تنتسب الى إدريس بن الحسن بن إدريس الذي حكم في مكة سنة 1201هـ. (انظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص 135).

[10] مسيرة يوم للطالع من مكة، و نصف يوم للهابط من مكة، عمرها حسين ابن سلامة و سدها ابنه، ذات مزارع و نخيلو مياه جارية و أودية. (انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 8-9.)

وجدة و بطن نخل[1]وهي تحت حكم الحسن بن علي ابن أبي طالب،و إمارة المدينة كانت تتبعها كل من قرى خيبر [2] و مدين[3] و غيرها وهي للحسنيين من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب، و كان الأولون يعتنقون المذهب الزيدي الشيعي[4]، بينما الآخرون يعتنقون المذهب الإسماعيلي[5] في الدولة الفاطمية، و كان من يدعوا له من الخلفاء على منابرها العباسيون أو الفاطميون بإعتباره خليفة المسلمين، و ظلت بهذا نجد[6] تعيش حياتها الرعوية و تنشر فيها قبائلها الرعوية بعد من هاجر منهم في عصر الفتوح، فلا نكاد نعرف شيئا واضحا عن هذه القبائل ، إلا ما يتصل برحلات هذه القبائل من الشرق و ما كونته هناك من إمارات و كذلك ما يتصل برحلاتها إلى الغرب[7].

يرى ابن جبير في كتابه [8] أن أهل الحجاز عامة كانوا يعتبرون الحجاج من أعظم غلاتهم التي يستغلونها، فينتهبونهم انتهابا بأنواع المكوس[9]،فالأعراب الذين يقطنون في هذه النواحي أصبحوا بحاجة إلى الأموال والطعام ، و بالتالي يهددون طريق ركب الحاج العراقي خاصة ومنع حجاج المشرق من

[1]جمع نخلة ، قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة.(أنظر :الحموي،مصدر سابق،ج1،ص447.)

[2] وهي ناحية قريبة من الشام ، وتشمل على سبعة حصون و مزارع ونخل كثير.(أنظر: الحموي، المصدر السابق،ج2، ص409 .)

[3] تقع على بحر القلزم محاذية لتبوك و هي البتر التي استعرضها موسى. (انظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 77).

[4] أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة و الجماعة يتصف مذهبهم بالابتعاد عن الغلو الإثنا عشرية يرجع نسبها لزيد بن علي بن زيد العابدين قائد الثورة الشيعية ابا العراق ضد الأمويين.(انظر في ذلك: مانع بن حماد الجهني، الموسوعة المسيرة في الأديان، دار النحوة العالمية، ط3، الرياض، 1471هـ، ج1،، ص 81).

[5] احدى أكبر فرق الشيعة بعد الاثنا عشرية ،تمثل الغلو الباطني في التشيع ،تنتسب الى امامها الاول اسماعيل بن جعفر الصادق لها ألقاب كثيرة منها "الباطنية _القرامطة _السبعية _البابكية ..."(انظر :عبد الله السلومي ،اصول الاسماعيلية ،دار الفضيلة ،السعودية ،1422ه/2001، ج1،ص195_198).

[6] احدى اقاليم شبه الجزيرة العربية، وهي جزء من منطقة اليمامة ،تقع بين اقليم الحجاز من الجهة الغربية ، وصحراء الدهناء التي من الجهة الشرقية (انظر:عبد الله ابراهيم العسكر ،تاريخ اليمامة في صدر الاسلام ،دار جداول ،لبنان ،2012،ص22_24).

[7]شوقي ضيف، عصر الدول و الإمارات " الجزيرة العربية" العراق- إيران، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1119، ص 18.

[8] ابن جبير (أبو الحسن محمد)، رحلة الكاتب الأديب البارع اللبيب، مركز ودود للمخطوطات موقع شيخة مري، ب س ط، ص 10.

[9]جمع مكوس و هي الضريبة التي يأخذها المكاس ممن يدخل البد من التجار. (انظر ابن خلدون، الحبر، ج4، ص 128).

الدخول إلى مكة ، و ظل القرامطة يرعبون و يخيفون الحجاج إلى حين أن أرسل الخليفة العباسي حملة عسكرية عليهم لإيقافهم ،كما كانت كثرة الفتن و الحروب بين القرى التي عمت بلاد العراق و قلة الأعطيات من أهم الأسباب التي دفعت للإعتداء على قوافل الحجاج و سلبهم الأموال[1]، لتعم الإصلاحات بعد ذلك بأمر من الخلفاء الفاطمين سنة 462هـ/1074م بإرسال الأعطيات لسكان الطريق، فنجد أن كل من العباسيين و الفاطميين عملوا على تأمين سلامة الحجاج من النهب و الاعتداءات بوسائل مختلفة ،فأحدهم انتهج سياسة التخويف و الترهيب فيحين أن الآخر حقق لهم حاجياتهم المادية و كسب ودهم[2].

لتكون بذلك السيادة الفعلية على العالم لمن تقام له الخطبة في الأراضي الإسلامية المقدسة خاصة مكة ،فكان كل من الفاطميين و العباسيين يتقربون من الأشراف لتحقيق كل منهما غايته الخاصة و هدفه الخاص ،ليجتهد كل منهما في التنافس و التسابق بإقامة الدعوة لهم على منابر مكة كما كان الدور البارز للفاطميين في المحافظة على قربهم من أشراف الحجاز من خلال الاستجابة لمطالبهم و كسب ودهم و تدعيم الصلات الطيبة بينهم [3]، لتكون لتلك الأعطيات دور في تحديد و استمرار تلك العلاقة المبنية بين السلطة الحاكمة و الأشراف، ففي عهد العزيز[4] 366-386هـ/975-

[1] سليمان عبد الغني مالكين، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد ،أطروحة دكتوراه جامعة القاهرة قسم تاريخ،1301هـ- 1981م ،ص 85.

[2] نفس المرجع، ص129 -130.

[3] نفس المرجع ،ص231 .

[4] هو أبو منصور نزار ، و لقب بالعزيز بن المعز لدين الله الفاطمي،وضع هذا الأخير عدة تقاليد فاطمية جديدة في المظاهر و الرسوم، امتاز عهده بالعطف على أهل الذمة ورفعهم لمنصب الوزارة،ولد بالمهدية وبدأ حياته بالمغرب رافق أباه لمصر وهو في ثامنة عشر من عمره.(أنظر:سهيل طقوش،تاريخ الفاطميين،ص235. ؛ احمد مختار العبادي،في التاريخ العباسي و الفاطمي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، د س ط ،ص277.)

996م) ، تحولت الخطبة حينها للخليفة العباسي بسبب قطع هذا الأخير الأموال عن أشراف الحجاز وبالتالي أصبحت السيادة في خطر، لتقوم الدولة العباسية بإثبات نفسها لتكون الدعوة لخلفائها[1].

ثانيا: الحياة الثقافية و الدينية

أ_الحياة الثقافية:

ارتبطت الحياة الثقافية بالحجاز بعوامل مختلفة ساهمت في تحديد ثقافة كل منطقة، فالحياة البدوية بنجد اعتمدت على رعي الإبل والأغنام ، مما جعلها عشائر تتعرض لنهب الحجاج، ليتجسد دور حكام بغداد و القاهرة حينها بمقاومته بإرسال الحجاج في قوافل مع حاميات و تأمين السبل لهم ،في حين كانت القرى المتحضرة وراء مكة و المدينة منها: الطائف و جدة و ينبع و خيبر، تميزت هذه القرى بأسس التحضر واشتهارها بالعمران، و الزراعة و الصناعة، و الحياكة و التجارة عكس ما كانت عليه نجد [2].

و أما فيما يخص خصائص اللبس نجد أن طريقة اللبس مختلفة لأهل الحجاز ،و ذلك للتفريق بين المسلمين و العامة من الذمي [3]، فكانت ملابس الرجال على شكلين ،من خلال تمييز قلانس العامة عن المسلمين بالخرق، ويشدون الزنانير في أوساطهم،و يضعون خاتم في رقابهم إما من رصاص أو نحاس أو جرس، كما لا يلبسون العمائم و الطيلسان عكس ما كان عليه المسلمين[4]، وأما عن المرأة كان لبس الجبة عندهم بما يشبه شكلها في الوقت الحاضر بالحرير و الكتان و أنواعها البراقة[5]و ألوان مختلفة من الألبسة تتلألأ إذا انعكست عليها أشعة الشمس، وكان للرجال أنواع مزركشة من العمائم

[1] سليمان عبد الغني مالكي،المرجع السابق، ص33.

[2]شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 34 _35.

[3]هو مصطلح فقهي ، يقصد به النصارى و اليهود واصحاب الديانات الاخرى ، هم المعروفين بأهل الذمة .(أنظر: سهيل طقوس، تاريخ الفاطميين ،ص236).

[4]الطرطوشي،سراج الملوك،ص 547.

[5]أحمد السباعي، في السياسة و العلم و الاجتماع و العمران ، د.ط ، د.م.ط ، ج1، ص 249 .

بما يشبه القصب [1]، كانت تشد زنارها تحت الإزار،وأحد خفيها أسود واللآخر أبيض لا يركبون الخيل كما كان نساء المسلمين ،بل يركبون على الحمير ،ولا يتصدرون المجالس،ولا يبدأون بالسلام و يسيرون في أذيق الطرق[2].

أما فيما يخص الجانب العمراني،كان يمنع النصارى و اليهود من إعلاء بناءهم على المسلمين أو أن يملك أحد دارا عالية ، في حين تجوز المساواة في علو البنيان ،وكان يمنع كل من يظهر منكرا كشرب الخمر، و الجهر بالتورات و الإنجيل ،وغيرها من المنكرات من المقام في مكة و الحجاز[3].

أصبحت الحجاز تمارس أعيادا مختلفة في عهد أبناء خلفاء البيت الفاطمي كالمولد النبوي، وعيد مولد السيدة فاطمة، ومولد الحسن و الحسين ، خاصة و أن أمراء الحجاز من أبناء الحسن و الحسين لذلك ساعدوا على رواج هذه الأعياد ،لينتهي ممارسة هذه الأعياد مع زوال الفاطميين ،ولم يبقى إلا الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في حين لم يحتفل أهالي الحجاز بأي عيد شيعي كعيد النيروز الذي كان موضع اهتمام الشيعة [4]،فروى لنا الصدفي أن الحجاز كانت فترة تواجد الطرطوشي تحت حكم الدولة الفاطمية.[5]

وبسبب الضعف الذي دب إثر تفرق أعلام مكة في الأمصار طيلة القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلاي، لم يلمع في مكة إلا بعض الأفراد التي كانت بيوتهم تتخصص في طلب العلم، و تتوارثه كما تتوارث خطب الجمعة و الإمامة في المسجد الحرام ،و من أظهر هذه البيوت في أواخر العهد الفاطمي في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، بيت الطبري[6]الذي ينسب إلى قريش

[1] ابن جبير،المصدر السابق،ص149.

[2]الطرطوشي،سراج الملوك، ص548.

[3]نفسه .

[4] سليمان عبد الغني مالكي،المرجع السابق ،ص195.

[5]الطرطوشي، سراج الملوك، ص 15.

[6]السباعي، المرجع السابق، ص 249.

و قد هاجر أجدادهم في العصر العباسي ثم عادوا إلى مكة في القرن الخامس[1]و ،كان هذا الجانب الثقافي من أسبابه توافد كبار العلماء منهم المسعودي[2] صاحب كتاب " مروج الذهب " و صاحب الرحلة المشهورة ابن فضلان.[3]

أ_ الحياة الدينية:

تعتبر الحجاز[4] من المقامات المقدسة لدى المسلمين،احتوت أرضها الطاهرة على مكة المكرمة مهبط الوحي، لتكون بذلك قبلة للكثير من المسلمين تلبية لنداء الرحمان و التوبة لله بكل شوق و اهتمام، لا سيما رحالات طلاب العلم إليها،و هي أول اتجاه اتخذه الطرطوشي بعد أن قرر الخروج من مسقط رأسه الأندلس لأداء الحج[5]،قال الله تعالى: " أذن في الناس بالحج يأتوك رجالا و على كل ضامر يأتين من كل فج عميق (27) ليشهدوا منافع لهم و يذكروا اسم الله في أيام معلومات"[6].

ومن خلال كتاب الله تبين أن الدعوة الإسلامية شجعت على طلب العلم و حرضت عليه، كما قدرت وعززت مكانة العلماء و جعلتهم ورثة الأنبياء[7]، فكثيرا ما يتجلى في الأذهان أنها منطقة منعزلة عن تلك الحركات العلمية التي كانت بالمشرق من خلال موقعها الذي يتوسط الصحراء، إلا أن قراها لم تكد تخلو من الوعاظ و المعلمين الذين يتلون فيها كتب الشريعة، فوفود العلماء بمكة كانوا من كل صنف ،ولكل من مقرئ القرآن حلقته و للمفسر و المحدث و الفقيه حلقته، لتتعدد الحلقات

[1] السباعي، المرجع السابق، ص 249.

[2] هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي من ذرية ابن مسعود، عدداه في البغدادية، و نزل مصر مدة، كان إخباريا، صاحب ملح و غرائب و عجائب و فنون ذو نزعة معتزلية، في جمادى الأخرة 345 هـ، (انظر الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص 569).

[3] أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد ابن حماد، صاحب الرحلة إلى بلاد الترك و الخزر و الروس و المقالبة المعروف، كان من موالي محمد بن سليمان الحنفي، ثم أصبح من موالي المقتدر العباسي، (انظر: الزركلي، المصدر السابق، ص 195-196).

[4] للاطلاع على موقعها . انظر خريطة رقم 01 ، ص76.

[5]الطرطوشي، سراج الملوك، ص14.

[6]سورة الحج، الآية 27.

[7] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ص 19-31.

بتعدد الشيوخ فيها.[1] كما أكد لنا المقري أن حوالي 280 شخص من الأندلسيين رحلوا من المغرب و الأندلس إلى المشرق قصد الإلمام بالعلوم و النبوغ فيها لتكون مكة وجهة أولى للأغلبية منهم[2].

كما شملت الحجاز على عدة مذاهب ، لتكون مكة على المذهب السني و بقية الحجاز شيعة وسواحل الحرمين معتزلة، وكان الأذان في جوامع مكة على المذهب المالكي، ولغة هذا الإقليم عربية وبعض منهم كلامهم بالفارسية ، لتكون مجمل لغات العرب في هذه الجزيرة ، و أما عن القراءات لهذه الفترة بمكة الغالب عليها قراءت عمرو و ابن كثير [3]، وحسب ما ذكر لنا ابن جبير أن أشراف مكة كانوا على مذهب الزيدية و من صفاتهم يزيدون في الأذان بقولهم "حي على خير العمل" ولا يجتمعون مع الناس في الصلاة [4].

ليكون الطرطوشي قد أقام بمكة ودرس فيها مجموعة من المعارف الخاصة بعلم الحديث و لم تكن بتلك المدة الطويلة،كما أكد ذلك زميله الصدفي قائلا: "صحبته عند الباجي و لقيته في مكة و أخذت عنه أكثر السنن لأبي داوود التستري"[5] ،ليذكر لنا الطرطوشي في كتابه "سراج الملوك" عن احدى المسائل التي سمعها من أستاذه أبي الوليد الباجي عن الكرامة و الهون و اجهاد العقل في ما يكسب[6]، و من أحد المسائل أن رجلا جاء الى هارون الرشيد وقال :اني أصنع ما تعجز الخلائق عن صنعه، فأعجب الرشيد بذلك و أمره أن يقدم ما بيده،أخرج هذا الرجل إبر عدة ووضع واحدة على الأرض ثم وقف و أخذ يرمي بالواحدة لتقع كل إبرة في عين الإبرة الموضوعة، فأمر الرشيد بضربه مائة سوط ثم أمر له بمائة دينار، فأدبه لفرط ذكائه في الفضول، وأكرمه لجودة ذكائه وفطنته فمن تجاوز

[1] شوقي ضيف، المرجع السابق،ص53.

[2] المقري ، المصدر السابق، 87.

[3] المقدسي(شمس الدين أبو عبد الله)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولة، القاهرة،ط3 ،1411هـ/1991م، ص 96.

[4] ابن جبير ،المصدر السابق، ص8.

[5]الضبي ، المصدر السابق، ص 139.

[6]الطرطوشي ،سراج الملوك ،ص272.

الوسط خرج عن الفضيلة، فخير الأمور أوسطها كالكرم الذي هو بين صفة البخل و التبذير، وصفة الشجاعة وسط بين الجبن المهين و الشجاعة المهلكة[1].

وفي مسألة أخرى عن الكرم و الجود و السخاء ألقى أبا الوليد شعرا يحمل مضمونه نزاهة النفس عن الحرام ودروس عن مجمل خصال الخير، ومن خلال هذه العناوين و مضمون تلك المواضيع نلاحظ أن جل اهتمام أبا الوليد الباجي كان في مسائل الخلاف ، ليأخذ منه الطرطوشي أكثر ما تسنى له من معارف في هذا السياق[2].

ليستطرد الصدفي في حديثه عنه قائلا: "ثم دخل بغداد و أنا بها" وهو زميل الطرطوشي الذين تفقهو عن الباجي بمكة[3]، ليشد رحاله إلى العراق التي كانت مقصد الطلبة من كل صقيع لإشتهارها بمدارسها و سخاء أمراءها ليخرج منها سنة 475 هـ/1083م و هو في عمر الثلاثينيات[4].

2 _ صورة العراق:

أولا: الحياة السياسية :

تقع بلاد العراق على حدود خوزيستان[5] وشيء من حدود الجبال و من جانبيه بعض خليج العراق و بعض بادية البصرة الغاصة بالسكان العامرة بالعلماء وهي مستقر الملوك الكبار[6]، رحل إليها

[1] الطرطوشي ،سراج الملوك ،ص272.

[2] نفس المصدر ، ص382.

[3] جمال الدين الشيال،الطرطوشي ،ص14.

[4] الطرطوشي ، سراج الملوك، ص 15.

[5] بها الدكسرة و يقال دكسرة العراق، هي مدن من مدائن العراق. (انظر: المقدسي،المصدر السابق ، ص 16).

[6] مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تح يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1914 م، ص 116.

مختلف الناس من أهل الأمصار ومن جميع البلدان تمتد مساحتها طولا من البحر الى مائة فرسخ ،وعرضها ثمانون ألف فرسخ[1].

وأما بغداد مدينة عظيمة عتيقة البناء حدائقها من نخيل، وهي قصبة العراق ذات تجارة كثيرة، ليس لها نظير في مشارق الأرض و مغاربها[2]، لتكون مستقر الخلفاء و محط رحال العلماء، بناها الخليفة العباسي المنصور[3] في العصر الإسلامي، يمر من وسطها نهر دجلة ليصب في البطائح بمقدار ستون ميلا ، ليتفرق النهر و يمر على البصرة[4].

وفي سنة 470هـ/ 1086م أصبحت العراق تحت حكم السلطان السلجوقي ألب أرسلان[5]

فترة الوزير نظام الملك[6]منشىء المدارس في العالم الإسلامي وهو أول من أنشأ معاهد مستقلة في التعليم[7].

[1] المقدسي، المصدر السابق،ص134.

[2] اليعقوبي (أحمد بن اسحاق)البلدان ، مكتبة مطبعة الجزيرة، العراق ،1337هـ-1918م، ص3 .

[3]هو الخليفة أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله يوسف المقتفي محمد بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدي الهاشمي العباسي، البغدادي. (انظر: الذهبي ، المصدر السابق، ج22، ص 193).

[4] ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله): المسالك و الممالك ،مطبعة بريل المسيحية ، مدينة نيدن ، 1889م، ص233.

[5]هو السلطان الكبير، عهد الدولة محمد بن سلطان جغري بك، داود ميكائيل بن قاق بن سلجوق التركماني، الغزي، من عظماء ملوك الإسلام و أبطالها هو ملك بعد عمه طغرل بك و كان عادلا بارا في الناس سيرة حسنة، شغوفا على الرعية رفيقا على الفقراء، بارا بأهله و أصحابه، و مماليكه كثير الدعاء به و أمرها أنعم الله به، توفي سنة خمسة و ستين. (انظر: الذهبي ، المصدر السابق، ج18، ص 44، ابن خلدون: العبر،ص 863).

[6] ولد سنة ثمان و أربع مئة و قتل صائما اني رمضان، كان حليما رزينا، جوادا، صاحب فتوة، بني بمرة مدرسة، و لبخ و البصرة مدرسة بدل منطقة. (انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج19، ص 96).

[7]الطرطوشي، سراج الملوك، ص 15.

وشهدت فترة حكم السلاجقة عدة أحداث سياسية[1]، بتولي السلطان ألب أرسلان السلطة الذي كان فيما سبق صاحب خراسان [2]، وقد عرف عند عامة الناس بسخاء أخلاقه ، فأمر الوزير الكندري[3] بالخطبة له بعد وفاة عمه الملك طغرل بك[4]، في 8 رمضان 464 هـ/1064 م كثاني خليفة، ليعظم شأن السلاجقة حينها خاصة أنه كان محبوبا كثير الصدقات، يتفقد الفقراء في كل رمضان بخمسة عشر ألف دينار رفقا بهم ، شديد الحرص على حفظ مال الرعايا [5] ، وهذه الصفات لطالما تحدث عنها الطرطوشي في سراج الملوك التي تعتبر من أهم ما يتوجب على الحاكم التحلي به ، كما ينبغي على السلطان أن يكون الأقرب إلى أهل العلم و الفضل والأصالة و الحصافة ، و كلما

[1] ظهر عهد جديد في تاريخ الإسلام و الخلافة بعد قيام دولة السلاجقة بالمشرق، فحكم الأمويين كان حينها بالأندلس، و أما العبيديون في مصر، و كانت كل من فاس و ما وراء النهر لبنوا بويه لتكون هذه أحوال الخلافة الإسلامية حينها ، كما شهدت البلاد الإسلامية فوضى سياسية و عسكرية بجميع الأنحاء ما أدى إلى تفاقم الخصام المذهبي بين السنة و الشيعة، لتظهر على أنقاض البويهين الإمارة السلجوقية، بتأسيس السلطان طغرل بك الدولة بخرسان و اعتراف الخلافة العباسية به سلطانا، و بفعل الخلافات داخل البيت البويهي حينها أشرف السلاجقة على العراق و دخلوا بغداد سنة 458 هـ/ 1065 م، و دخلت العراق ضمن نفوذ السلاجقة لتتطور العلاقة بينهما و بين الخلافة العباسية إلى المصاهرة فتزوج حينها الخليفة القائم من أرسلان خاتون إبنة داود جغري بك أم طغرل بك. (انظر: عصام شبارو، تاريخ المشرق العربي الإسلامي، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1999، ص 7).

[2] يعود اصل تسميتها الى أقليم خرسان باللغة الفارسية وتعني الارض المشرقة ،وهي بلاد واسعة ، أول حدودها ما يلي العراق و آخر حدودها ما يلي غزنة و سجستان وكرمان (أنظر : الحموي، المصدر السابق، ج2، ص350.)

[3] أبو نصر محمد بن منصور بن محمد ، ولد سنة 415هـ/1024م، الملقب بالكندري عميد الدولة في عهد طغرل بك.(أنظر: ابن خلدون، العبر،ج3، ص579)

[4] أبو طالب طغرل محمد بن ميكائيل بن سلجوق ، دخل طغرل بك بغداد يوم الإثنين25 رمضان 448هـ/18 كانون الأول 1055 م، و نزل بباب شماسية كان دخوله عبارة عن موكب مهيب و اعتراف الخليفة القائم بطغرل بك، بسلطانه على جميع المناطق التي بحوزته والمجاورين للخلافة العباسية كما عمل على القضاء على البويهين. (انظر: محمد سهيل طقوش، السلاجقة في خرسان، دار النفائس، بيروت، ط2، 1437هـ/2016م، ص 75).

[5] ابن كثير (أبو الفداء الحافظ) ،البداية و النهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1416 هـ- 1991 م ،ج12،ص107.

كان عكس ذلك كان ناقصا في حسن التدبير، لأن جمال الرعية يكون بفضل عدل و كمال السلطان، فالسلطان الجائر كما ذكر الطرطوشي كالشوكة في الرجل يتداعى لها سائر الجسم بالألم[1].

وهذه الصفات ما تجسدت بعضها عند الحاكم ألب أرسلان، فضلا عن اتصافه بالشجاعة ليشد عزمه و يقود جيش كبير مكون من مائتي ألف مقاتل قاصدا بلاد ما وراء النهر ،كما عقد جسرا على نهر جيجون[2] لعبور الجيش منه، طامعا وقتها في الوصول لأقصى بلاد الصين لكن شجاعته و طموحه دفعت إلى هلاكه ،و يلقى مصرعه تلك السنة في عمر الأربعين ،فمن أجود صفاته الكرم والسخاء، عاقلا متصدقا على الفقراء، و لم تشهد بلاده جناية و لا مصادرة، و كان يأخذ الخراج[3] الأصلي حينها على دفعتين كل سنة لطفا و رأفة برعيته .[4]

كان لنظام الملك دور بارز في التنظيمات الإدارية ليكون اليد الموجهة لإدارة الدولة ،فمن أهم الطرق التي اتبعها وقوفه ضد كل من يتدخل من أصدقاء السلاطين المقربين في الشؤون الداخلية ، وذلك للمحافظة على استقرار الإدارة ، فضلا عن دقته في اختيار الموظفين [5].

ومع دخول أبو بكر الطرطوشي إلى بغداد كانت هذه الأخيرة في تلك الفترة من أكبر مراكز العلم، و محط رحال العلماء يتوافدون عليها من أقصى الشرق و الغرب [6] ، ليصور لنا الطرطوشي

---

[1] الطرطوشي، سراج الملوك، ص461.

[2] أو جيحون بالفتح، هو اسم أعجمي، و نسخ الحطوب و الحوائج اسم بالفارسية هوون و هو اسم وادي خرسان على وسط مدينة يقال لها جيهان. (انظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 196).

[3] هو نوع من الضريبة ،ويقصد به ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها ، له وجهان أحدهما أجرا و الثانية دفعا. (انظر: الماوردي (محمد بن حبيب) الأحكام السلطانية، تح أحمد بغدادي، دار إبن قتيبة، الكويت، ط1، 1409 هـ/ 1979م، ص 172).

[4] نادين بن عابد أحمد عنقة، تاريخ التعليم في المشرق الإسلامي – القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير في التربية الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة، 1408 هـ ، ص 35.

[5] محمد الصلابي، المرجع السابق،ص124.

[6] الطرطوشي، سراج الملوك، ص 15.

الحالة السياسية حينها أنها كانت قائمة أحسن قيام مستميلة للأعداء، مشددة أركان دولتها و بنيانها ليعم وقتها إحسانه العدو و الصديق ،و البغيض و الحبيب[1]،وعندما تولى الملكشاه[2] في 465هـ/1073م الحكم بعد وفاة أبيه و هو في الثامن عشر من عمره،منتهجا نهج أبيه ، إستولى الجيوش في عهده على الكثير من البلاد ،و قيل أنه ملك من الأقاليم ما لم يملكه أحد من السلاطين، وتشمل سيطرته على جميع بلاد ما وراء النهر و إيران و العراق و بلاد الرومو الجزيرة و الشام وهو من أحسن الحكام سيرة عرف بحبه و ولوعه بالعمائر، كما حرص على إبطال المكوس في بلاده و عمر جامع بغداد.[3]

رغم سياسته الحصينه واجه ملكشاه اضطرابات عنيفة على أطراف الدولة، فتغلب عليها و معه وزيره نظام الملك، ليتابع هذا الأخير عملية بناء المدارس التي كان قد بدأها ألب أرسلان ليتميز بذلك القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي، بعصر المدارس الإسلامية فأصبحت هذه البقعة أرض خصبة لمتخلف المذاهب ببلاد المشرق، و احتضنت الطلاب الوافدين من كل الأماكن ليتتلمذ عليها أشهر فقهاء و علماء هذا العصر.[4]

ذكر لنا الطرطوشي أثناء مقامه في العراق، عن مكانة و دور السلطة السلجوقية و أمرائها في دعم الجانب العلمي الفقهي قائلا: " لما كنت بالعراق كان الوزير نظام الملك و الغالب عليه خواجا رحمه الله تعالى، قد وزر لأبي الفتح ملك الترك ابن الب أرسلان، و قد وزر لأبيه و قام[5] بدولتهما أحسن قيام ،و ثبت و استقر و بنى دور العلم للفقهاء و أسس الرباطات و عم ذلك سائر أقطار

[1]جمال الدين شيال، العالم الزاهد الثائر، ص 15.

[2]جلال الدين و الدولة، ابو الفتح ملك شاه، ابن أبي شجاع ألب أرسلان، بن داود بن ميكائيل امتدت دولته من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن حتى ملك الروم و الخزر و اللآن، كانت دولته صارمة و الطرقات آمنة، و كان من عظمته يقف للمسكين و الضعيف ليقضي حوائجهم. (انظر: ابن كثير،المصدر السابق ،ج11، ص 141).

[3]شوقي ضيف، المرجع السابق ،ص 237.

[4]نادين بنت عابد، المرجع السابق، ص 35.

[5]الطرطوشي، سراج الملوك، ص 515.

مملكته، و كان ينفق حوالي ستمائة ألف دينار في كل سنة من بيوت أمواله في هذه الأبواب، إلا أنه طالما أو عزو صدره أن ما ينفقه في سبيل العلم يقيم به جيشا في سور القسطنطينية." من خلال هذه المقولة عكس لنا الطرطوشي حرص الحكام السلاجقة على الاهتمام بالعلم و العلماء لذلك نجد أن ما كان يخصصه من أموال لأصحاب العلم ليس بمبلغ بسيط، حتى انه لم يخصص للجيش الذي يعتبر ركيزة قيام الدولة ، فجاء أحدهم ليقنع ملكشاه أن هذا تبذير للمال الذي لا يخدم مصالح الحكم ،و عرض هذه الفكرة على وزيره، فرد عليه نظام الملك بما ذكره لنا الطرطوشي قائلا: " و أنا قمت لك جيشا الليل إذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على أقدامها بين يدي ربهم و أطلقوا بالدعاء ألسنتهم (...).[1]

ثانيا: الحياة الثقافية و الدينية:

أ_الحياة الثقافية:

ومن مظاهر الحياة الثقافية للعراق من خلال بعض ما ذكره لنا الطرطوشي لهذه الفترة ،هي الاهتمام في تشييد البنيان و بالخصوص بناء المدارس التي أصبحت تضم كم هائل من الطلاب ، لهذا اتجه إليها الطرطوشي بعد إتمامه الحج بمكة بهدف استكمال دراسته بها و الاتصال بعلمائها للاستفادة منهم، و كان هذا سنة 477هـ/1038م ،لتكون البلاد حينها تحت سيطرت ألب أرسلان وابنه الملك شاه[2]، كما عرف السلاجقة بتقدير و تدعيم وتشجيع العلماء خاصة بعد افتتاح المدرسة النظامية[3] ببغداد ، التي بنيت قبل وصول الطرطوشي بسنوات قليلة، و شهد هذا الأخير هذه المدرسة في أوج عظمتها عامرة بالأدباء، و الشعراء ، والفقهاء فتتلمذ بها.[4]

---

[1] الطرطوشي، سراج الملوك، ص 515 .

[2] نفسه.

[3] كانت أشبه بجامعة كبيرة، و موقعها على شاطئ دجلة فوق دار الخلافة العباسية بينها و بين المستنصرية، كان يقابلها النهر من جهة بغداد الغربية و كانت محلة كبيرة كالمدينة. (انظر شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 278).

[4] نادين نجيم أحمد، المرجع السابق، ص 77.

كانت بغداد سنة 451هـ/ 1111م ، قد تعرضت الى احتراق خزانة الكتب ، فنهبت العامة بعض كتبها واختار الكندري أحسن الكتب حوالي عشرة آلاف وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم الأخرى منها مائة مصحف، فنسب سبب الحريق إلى سوء سيرة هذا الوزير وفي المقابل تمجيد دور نظام الملك الذي عمر المدارس ،ودون العلم في بلاد الإسلام جميعا ،ووقف الكتب و غيرها.[1]

وفي سنة سبعة و خمسين ابتدأ الوزير بناء مدرسة ببغداد، تم تعميرها في ذي القعدة سنة تسعة و خمسين ، بتعيين الشيخ إسحاق الشيرازي للتدريس بها، فاجتمع الناس لحضور دروسه، ليستأنف فيها أبو منصور الصباغ[2] التدريس بالمدرسة ليلقى قبولا من الأهالي،كما بنى السلطان ملك شاه مدرسة أبي حنيفة و السوق، و بنى أيضا جامع السلطان ببغداد و منارة القرون من صيودة بالكوفة[3].

و يرجع السبب في إنشاء المدرسة النظامية أن رجلا قصده يقال له أبو سعيد الصوفي يخبره أنه سيبني مدرسة ببغداد مدينة السلام لا يكون في الأرض مثلها ، ليعجب نظام الملك بالفكرة ،لتخط المدرسة و تبنى في أحسن بنيان ويكتب عليها اسم نظام الملك ،ثم بنى حولها أسواقا و خانات و حمامات ليعم المشرق و المغرب أثره ، وعندما أتم أبو سعيد عمله رفع حساب النفقات اليه وقدرت بستين ألف دينار ،ليعلم نظام الملك أن ما أنفق لا يتجاوز تسعة عشر ألف دينار وباقي الأموال تركها أبو سعيد لنفسه ، فعندما طلب الوزير استفسارا لهذا الأمر، قال له أبو سعيد: "لا تطل الخطاب إن رضيت وإلا محوت اسمك (...)"فقال له الوزير:"قد سوغنا لك جميع ذلك كله ولا تمسح

[1] ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن): الكامل في التاريخ ، تح عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ،2012م ،ج 8،ص166.

[2]الإمام أبو نصر ابن الصباغ، ولد سنة أربعمائة، و تفقه ببغداد على أبي الطيب الطبري حتى فاق الشافعية بالعراق، و صنف المصنفات المفيدة، منها الشامل في المذهب، و هو أول من درس بالنظامية ،كان فقيه العراقيين، و قد صنف الشامل في الفقه توفي سنة 477 هـ ، و دفن بداره في الكوخ (انظر: ابن كثير، المصدر السابق، ص 116).

[3] ابن كثير ،المصدر السابق،ص142.

اسمنا.[1]" كما كانت هذه المدرسة فكرة بالخصوص لمقاومة النفوذ الشيعي، و من أشهر مدرسيها نذكر:[2]

- أبو إسحاق الشيرازي، (ت 476/ 1084م).
- أبو النصر ابن الصباغ (ت 477هـ/1085 م).
- أبو السعد المتولى، عبد الرحمان المأمون، (ت 478 هـ /1086 م).
- الشريف أبو القاسم الدبوسي العلوي (ت 483 هـ/ 1091 م).
- أبو عبد الله الطبري[3] (ت 495هـ/ 1102 م).
- أبو محمد الشيرازي[4] (ت 500 هـ/ 1107 م).
- أبو زكرياء يحي ابن علي الخطيب الشيباني، (ت 502 هـ/ 1109 م).
- أبو الحسن الهراسي، علي ابن محمد الطبري (ت 504هـ /1111م).
- أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ/1112م).
- أبو بكر الشاشي (ت 507 هـ/ 1114م).[5]

كما ذكر لنا الطرطوشي في كتابه عن أهمية الدروس التي تلقاها عن فقهاء البصرة فقال: "ومن أحسن شيء سمعته في كتمان السر"،فهو يدل على جواهر الرجال، فلا خير في إنسان لا يمسك سرا فإذا سئلت إن فهمت فقل جهلت، و إن سألك أحدهم كيف تكتم السر؟ فأجحد

[1] الطرطوشي،سراج الملوك ،ص 517.

[2] ابن كثير ،المصدر السابق ،ص135،137.

[3] في محرم قدم هذا الأخير بمرسوم من نظام الملك بتوليه التدريس في المدرسة النظامية . (أنظر: ابن الأثير ،المصدر السابق ،ص 337.)

[4] عين في نفس السنة مع الطبري ، بتوليه ايضا التدريس من قبل نظام الملك في المدرسة فاستقر و أصبح التدريس يوما بيوم مع الطبري. (أنظر : ابن الأثير ،المصدر السابق ،ص337.)

[5] درس الإمام أبو بكر الشاشي سنة 482هـ في المدرسة التي بناها تاج الملك المستوفي السلطان بباب إبرز بغداد،وهي المدرسة التاجية المشهورة. (أنظر: إبن الأثير ،المصدر السابق ،ص333.)

المخبر وأنكر الأمر حتى و إن كنت تعلم به ، على قول الطرطوشي :"ما أنشدني به بعض فقهاء البصرة بالبصرة.[1]"

ب_ الحياة الدينية:

شهدت فترة دخول الطرطوشي لبغداد حركة علمية نشيطة، فبنيت المساجد و دور العلم، و كانت هناك مقاعد للطلاب و مكتبات ضخمة على نحو ما يتحدث المؤرخون عن دار العلم التي لها كتب كثيرة بلغت عشرة آلاف و أربعمئة مجلد[2]، وكان معظمها بخط أصحابها و بها مائة مصحف كان يتقاضى الفقيه فيها اثنتي عشر دينارا في كل شهر، كما تقدم لهم هذه المدرسة الأطعمة و الحبر و الأوراق و الأقلام، وهي كثيرة الفقهاء و القراء و الأدباء والأئمة و الملوك خاصة بغداد ، وبها عدة مذاهب "الحنابلة ،و الشيعة، ومذهب مالك و معتزلة و النجارية" بالكوفة والغالب على أصحاب هذا الإقليم الشافعية.[3]

انتشرت أيضا ظاهرة التصوف[4] في هذا القرن و أصبح لها زوايا و فكر و علوم،مثل الدور الذي قام به أبا سعيد الذي ذكرناه سابقا، اجتهد هذا الأخير في تشيد المدارس كما له دور بارز في بناية الرباطات الصوفية كما اشترى الضيع و البساتين و الدور من المال الذي أخذه من عند نظام الملك، ليوقف هذه الممتلكات جميعها على الصوفية التي لا زالت إلى يومنا هذا ببغداد [5]، و أعطى

[1] الطرطوشي، سراج الملوك ،ص 415.

[2] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 273-297.

[3] المقدسي، المصدر السابق، ص132-133.

[4] أصل كلمة التصوف تعود إلى عدة تفسيرات، قيل سميت صوفية لصفاء أسرارها ،و نقاء آثارها،و الصوفي من صفة الله ومعاملته ،وقيل لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز و جل ، وأما من نسبهم إلى الصفة و الموصوف فإنه عبر عن ظاهر أحوالهم،لأنهم قوم قد تركوا الدنيا فهجروا عن الأوطان و ساحوا في البلاد ،و أجاعوا الأكباد و أعروا الأجساد ولم يأخذوا من الدنيا إلا مالا يجوز تركه من ستر عورة و سد جوع. (أنظر : إحسان الهى ظهير، التصوف المنشأو المصادر، دار إدارة ترجمان السنة، باكستان ،1406هـ -1986م،ص20-21).

[5] الطرطوشي ،سراج الملوك ، ص 518.

لنا الطرطوشي صورة أخرى لهؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم، بالرغم من تطلعهم في الفقه و العلوم، اعتنقوا بذلك التصوف، ومعتقدين أن الدنيا تعبير زائل و الذين كانوا يتفرغون للزهد و التقشف و العبادة للذكر فهذا النوع من الحياة أثر على الطرطوشي فمنذ ذلك الحين أصبح يميل إليه[1]، فدرس التصوف و نبع فيه، و كان الشيرازي إمام وقته في بغداد فروى لنا الطرطوشي شعرا واصفا ذكاء الشيرازي قائلا:

تراه من الذكاء نحيف الجسم عليه من توفده دليل

إذ كان الفتن ضخم المعالي فليس يضيره الجسم النحيل

و من المواضيع التي أثارت اهتمام الفقيه أبو بكر الطرطوشي بمدينة بغداد ،أنه دخل في نقاش مع أنداده الفقهاء في موضوعات الحياة و قيمتها وزوالها وما يخص الإنسان من جهوده و مصيره ، فقال صاحب له أن مصير الإنسان بعد موته و دفنه سيتحلل مع التربة ليصبح طينا فيعجن و يضرب خزفا حتى يصير كوزا بعد أن كان بشرا ،فهذا القول هز كيانه هزا عن حقيقة الإنسان و مصيره فأخذ يحلل في هذه النظرية الفلسفية ليعتنق منذ ذلك الحين فلسفة الزهد و العزوف عن الملذات[2] .

عرفت هذه الفترة تحول الكثير من الزهد إلى التصوف ،فكانوا لا يكتفون بالإعراض عن ملاذ الدنيا و طيباتها قانعين من الطعام بالكسرة و من الثياب بالخرقة ، لا يشغلهم مال ولا زوجات و لا أولاد ،وهذا ما يدل على موجة التصوف في هذا العصر التي كانت لا تقل حدة و اتساعا في العصور السابقة بحيث أصبح الغزالي يعد العدة لكي تشيع الطرق الصوفية[3] و هذا ما تناوله الغزالي في الجزء الثالث من كتابه " الإحياء" فيقول: " على الشيخ أن يدفعه إلى الخلوة و الصمت و الصوم و الأرق مع دوام الذكر و التخلص من كل الشهوات"، و سرعان ما أخذت الطرق الصوفية تشيع، فبعد أن

[1] جمال الدين الشيال، الطرطوشي، ص 21.

[2] نفس المرجع ، ص24-25.

[3] الغزالي (أبو حامد) إحياء علوم الدين، دار المناهج، المملكة العربية السعودية، جدة، 1432-2011 م، ج3، ص 573.

غادر الطرطوشي العراق منتهجا حياة الزهد و البعد عن المناهج[1] كان حينها الفكر الصوفي متأصلا على يد أقطابه و قد عده الكثير ممن كتب عنه أنه واحدا من المتصوفة الزاهدين[2].

وفي الاخير نستنتج أن الطرطوشي ارتحل إلى بلاد المشرق الإسلامي بعد تحصيله مرتبة من العلم التي أخذها من أبي الوليد الباجي في الأندلس، و بعدها ولى وجهه شطر بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج فيها ، و من ثم انظم لحلقات الدرس ، ولم يمكث فيها طويلا ليشد رحاله بعدها إلى العراق ويتكون على يد أشهر العلماء والفقهاء فيها ، من بينهم أبي بكر الشاشي ، وأبي حامد الجرجاني أشهر فقهاء الشافعية بالرغم من أنه مالكي المذهب ،كما حصل الطرطوشي على مكانة علمية ساهم من خلالها في التدريس في أشهر المدارس في ذلك الوقت منها المدرسة النظامية التي شيدها السلاجقة الذين اهتموا بالعلم والعلماء وعملوا على نشر و استقطاب مختلف المذاهب.

[1] الطرطوشي، سراج الملوك، ص 18.

[2] أحمد أبو كف، المرجع السابق، ص 148.

المبحث الثالث:

صورة الشام و مصر.

1-صورة الشام.

أولا: الحياة السياسية.

ثانيا: الحياة الثقافية و الدينية.

أ- الحياة الثقافية .

ب_الحياة الدينية .

2-صورة مصر.

أولا: الحياة السياسية.

ثانيا: الحياة الثقافية و الدينية.

أ- الحياة الثقافية.

ب_الحياة الدينية.

1_صورة الشام:

أولا: الحياة السياسية:

تقع الشام شمال الكعبة وهي أرض كبيرة، و أصولها كثيرة، و أرض مقدسة لما تحتويه من مساجد و قبور الأنبياء[1] ، تمتد جغرافيا من حدود العرب شرقا و حدود الجزيرة و من جنوبها بحر القلزم[2] وغربيها حدود مصر و بعض أجزاء بحر الروم[3]، و أما شمالا تحد بلاد الروم[4]،كانت الشام برغم بعدها عن طريق الحج مقصد القليل من الأندلسيين والمغاربة[5] ،بسبب أحوالها الغير مستقرة خاصة ما كانت تشهده في العهد الفاطمي.[6]

ومن بين العلماء الذين زاروا الشام، الفقيه الطرطوشي الذي دخلها بعد أن أتم دراسته و حصل من العلوم ما حصل و بلغ من النضج الفكري درجة تؤهله للتدريس، لينفع الناس بعمله ، متوجها الى زيارة بيت المقدس[7] رغبة في مقابلة أبي حامد الغزالي ثم ترك المقدس متوجها إلى جبل

---

[1] المقدسي،المصدر السابق، ص 96.

[2]هو شعبة من بحر الهند، أوله بلاد البربر و السودان ثم يمتد غربا، و في أقصاه مدينة قلزم قرب مصر و بذلك سمي بحر القلزم. (انظر: الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 344).

[3] يعنى به البحر المتوسط . هو بحر الشام و القسطنطينية مآخذه من بحر المحيط ثم يمتد شرقا فيمر من شمال الأندلس و الإفرنج إلى القسطنطينية إلى سواحل الشام و أنطاكية و بلاد الروم و بحر الظلمات. (انظر: الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 345).

[4]يوسف الهادي، المرجع السابق، ص 137.

[5]الطرطوشي، سراج الملوك، ص 18.

[6] محمد نزار دباغ، المشرق في نظرة المغاربة و الأندلسيين في القرون الوسطى، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1923، ص20.

[7]بفتح أولها سكون ثانيه، و تخفيف الدال وكسرها ، أي بيت المقدس المطهر الذي يتطهر به من الذنوب و هي أصغر من مكة و أكبر من المدينة و لها 8 أبواب عليها حصن بعضه على جبل و بعضه على خندق. (انظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 166).

لبنان، و ليزور دمشق و يقيم بها مدة و منها إلى حلب[1] ثم أنطاكية[2]، وقد صادف دخوله حصار الصليبيين لها أواخر عام 490هـ/1097م، الذي استمر ثمانية أشهر[3]. و انتهى بالإستيلاء عليها، و قد احدث ذلك هلعا كبيرا في نفوس الأهالي بسبب كثرة أعداد الصليبين ، و قد كانت أنطاكيا حينها تحت حكم ياغي سيان[4].

خلف الصليبيون بعد توغلهم في بلاد الشام جرائم كبيرة تمثلت في قتل الأهالي و تخريب العمران، فانتقل الناس إلى البراري و منهم من قصد الشام ،و منهم من فر إلى مصر على حالة رثة، وقام بعدها ملك الإفرنج بالاستيلاء على بيت المقدس ،في حين بقيت بيروت وطرابلس في يد الصليبيين تقاوم حتى سنة 500هـ/1107م .[5]

بعد سقوط أنطاكيا طرأ تغير على الخريطة السياسية في شمال الشام ، مما جعل حلب مهددة بالسقوط، و عمل أيضا العلماء و الفقهاء بدور كبير في توعية الناس للتوجه إلى بغداد و استنجادا بالخليفة العباسي و بالسلطان السلجوقي،و هذا ما يدل على حالة التفكك التي أصابت العالم الإسلامي في تلك الفترة و أدت إلى ضياع المسلمين و تفرقهم[6]، لتكون هذه من بين الأسباب التي دفعت بالطرطوشي إلى ترك الشام والاتجاه إلى مصر فور تفاقم الصراعات ،و ينزل بمدينة الرشيد

[1] مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات، قال الزجاجي: " سميت حلب لأن إبراهيم عليه السلام كان يحلب فيها غنمه في الجمعات و يتصدق به. (انظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 282).

[2] بالفتح ثم بالسكون و الياء المخففة أول من سكنها بنت الروم بن اليفنى بن سام بن نوح عليه السلام، و هي بلد عظيم ذو سور و فصيل ولسوره ثلاثمائة وستون برجا، يطوف عليها بالنوبة أربعة آلاف حارس. (انظر: الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 226).

[3] الطرطوشي، سراج الملوك، ص 18-20.

[4] مؤيد الدين ياغي سيان بن محمد بن ألب السلجوقي ، وهو ابن أمير أنطاكيا محمد، عينه الملك شاه أميرا ووالیا على أنطاكيا أحسن الدفاع عليها، ووضع الحامية و أقام السور. (انظر: ابن خلدون، العبر ، ص251).

[5] كرد علي،المرجع السابق ،ص255.

[6] نفسه.

ليتخذ من الإسكندرية مقرا له بعد أن قضى في الشام حوالي عشر سنوات و هو في الأربعين من عمره[1].

ثانيا: الحياة الثقافية و الدينية

أ– الحياة الثقافية:

تطرق المقري إلى وصف بلاد الشام فقال :" عندما دخل ابن العربي أحد بيوت الأكابر في الشام ، رأى فيها نهرا جاريا إلى موضع جلوسه فقال لم أفهم معنى ذلك حتى جاءته موائد الطعام في النهر المقابل إلينا فأخذها الخدم و وضعوها بين أيدينا و لما فرغنا ألقى الخدم الأواني في النهر الراجع ليذهب بها الماء ناحية الحريم من غير أن يصل الخدم الى تلك الناحية"مع العلم أن فترة تواجد ابن العربي بالشام تزامنت مع تواجد الطرطوشي بها ، ليسبق هذا الأخير الخروج منها سنة قبل ابن العربي، ويدل كلام ابن العربي على نوع من التحفظ داخل البيوت الشامية، و يعكس لنا نوع من الثقافات المختلفة[2].

كانت الشام متكونة من أجناس متعددة ذات لغات مختلفة تزامنت مع فترة الحروب الصليبية ، و قد عاش هؤلاء الصليبيون حياة رفاهية على الرغم من استمرار الحروب بينهم وبين المسلمين ،ومارسوا عادات وتقاليد مخالفة للإسلام سواء في الجانب الديني أو الاجتماعي ، منها الأعياد المختلفة التي جلبوها للمجتمع الشامي مثل:أعياد الميلاد ويقصد به الاحتفال بيوم مولد المسيح عليه السلام ،فكان الاحتفال بهذا العيد يتم في الكنيسة ، و بالتالي عملوا على تغيير تقاليد الزواج والأعراف في الشام[3] .

[1] الطرطوشي، سراج الملوك، ص 20.

[2] محمد نزار دباغ، المرجع السابق، ص 25.

[3] مصعب نجم الزيدي ،الصليبيون في بلاد الشام ،دار النهضة العربية ، بيروت ،لبنان ،1435هـ،2014م ،ص21_23.

ثم توجه الطرطوشي إلى بيت المقدس ، إذ كان منقبض على الناس يأكل في شقف من الفخار و يطبخ بها، ليكون مجانبا للسلطان معرضا عنه يشتد عليهم بالإدلاء في النصيحة، كما تمثل سبب زيارته لبيت المقدس رغبته الشديدة في مقابلة أبي حامد الغزالي إلا أنه في تلك الفترة لم يقابله بسبب معاناة الغزالي من محنته النفسية، فكان منعزل عن الناس بمأذنة الجامح الأموي بدمشق، أو في قمم الجبال يتعبد وحده، كما لم يعلم الغزالي بوجود الطرطوشي هناك حتى بعد خروجه من بيت المقدس.[1]

ومن الميزات التي وجدها الطرطوشي في الشام هي توفر فرص العيش، و المعاملة الحسنة كانت من العوامل المشجعة و الجاذبة التي استقطبت جالية كبيرة من الأندلسيين و ترك بلادهم للمزايا التي انفردت بها دون بقية الأقطار.[2]

ب– الحياة الدينية :

اشتهرت بلاد الشام بتعدد مذاهب أهلها ، خاصة خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، و هي الفترة التي سيطر الفاطميون عليها ، ولم تضعف هذه المذاهب إلا في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي[3] .

وذكر لنا المقدسي في قوله:" إن السامرة ينتشرون من فلسطين إلى الطبرية و مذاهبهم مستقيمة جماعة وسنة، و أهل طبرية و نصف نابلس و القدس و أكثر عمان شيعة و معتزلة، و لا ترى بها مالكيا و لا داوديا و لا زراعيا بجامع دمشق و العمل كان فيه على مذهب أصحاب الحديث و الفقهاء شافعيين".[4]

[1] الطرطوشي، سراج الملوك، ص 20.

[2] علي أحمد، الأندلسيون في بلاد الشام من نهاية القرن 5هـ–9هـ ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، 1989، ص 94.

[3] المقدسي، المصدر السابق، ص 179.

[4] نفس المصدر ، ص 180.

دخل أبو بكر الطرطوشي إلى بلاد الشام عالما وزاهدا أقرب إلى الحقيقة ،فكان يقول عنه ابن فرحون: " الإمام أبو بكر كان متقدما في الفقه مذهبا وخلافا وكان بعض الجلة من الصالحين هناك ، الذي عند الطرطوشي من علم هو الذي عند الناس والذي عنده ليس مثله عند غيره "[1]. ليشتهر هذا الأخير و يذاع صيته حتى أقبل عليه الناس و أحبوه و أفادوا من علمه، باعتبار أنه كون فلسفة خاصة به قوامها الزهد و السعي بالمعروف و النهي عن المنكر فلابد أن نفسه الأبية و صراحته و التزامه الحق أثارت ضده بعض الحاسدين من أهالي بيت المقدس، فوشوا به لدى حاكمها، إلا أنه لم ينالوا منه[2].

ويصف لنا ابن بطوطة جامع دمشق ، باعتباره من أشهر مساجد الدنيا ،وقدم لنا أيضا وصفا دقيقا حول مساحة المسجد وطوله وعرضه، كما يرى ابن بطوطة ان الشام مركز علمي عظيم ، بعد وصفه لحلقات العلم التي كانت فيها فقال:" ومن مفاخر هذا الجامع انه لاتخلو القراءة منه صباحا ولا مساءا ، وفيه حلقات التدريس للطلبة وللمدرسين ، وللمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي يجتمع فيه طلبة المغاربة ، وعند الفراغ صباحا من التدريس يجلس في المساء صبي أمام الإمام ويلقي عليه القران ، وكان في الشام نحو عشرين مدرسة..."[3]ويصف اليعقوبي هذا المسجد في قوله:"ومسجدها الذي ليس في الإسلام أحسن منه بالرخام والذهب"[4].

2_صورة مصر:

أولا: الحياة السياسية:

[1] جمال الدين الشيال، الطرطوشي ، ص 27.

[2] الطرطوشي، سراج الملوك، ص 19.

[3] ابن بطوطة(شمس الدين محمد الطنجي)تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار،تح محمد عبد المنعم العريان،دار إحياء العلوم، بيروت،1407هـ/1978م،ج1،ص104.

[4] اليعقوبي ،المصدر السابق ،ص113.

كان لمصر دور كبير في توطيد العلاقات بينهما و بين المغرب و الأندلس[1]، وقبل التطرق إلى الأوضاع السائدة بمصر فترة دخول الطرطوشي سنة 490هـ/1097م، لابد من الإشارة إلى أهم الأحداث ، التي كانت لها مخلفات على مصر لفترة من الزمن فقد كانت خلال تلك الفترة تحت الحكم الفاطمي وما شهدته من أحداث سياسية عديدة[2].

ففي عهد المستنصر[3](427هـ_487هـ/1036_1094م) ، مثلت مرحلة حكمه المرحلة الانتقالية في تاريخ الحكم الفاطمي في مصر، و شهد عهده العصر الذهبي للدعوة الإسماعيلية[4]، التي لقيت رواجا كبير داخل المجتمع المصري ، إلى أن انقسم المجتمع والجيش[5] الى طائفتين متعارضتين في التوجه المذهبي ، تسببت في العديد من الاضطرابات داخل الدولة ،فلم يكن أمام المستنصر لإنقاذ البلاد من هذه الأزمات سوى الاستعانة بقوى خارجية بعد ان فقد السيطرة في البلاد ،لهذا استدعى الوزير بدر الجمالي ، فكانت كل آماله متعلقة به ليقوم بإصلاحات داخل الدولة وإنهاء الفوضى .

قام الوزير بدر الجمالي، بالتخلص من القادة الأتراك وقام بالتحكم في مصر وحكامها ،وقام بإصلاح الشؤون الاقتصادية والإدارية في مصر و يعيد تنظيم الجيش الفاطمي ، فانتهز بذلك الوزير

[1] المقريزي (تقي الدين أحمد) الخطط المقريزية، تح محمد زينهم و مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبول، القاهرة،1998، ج1، ص 345-350.

[2] جمال الدين الشيال ،الطرطوشي ،ص20.

[3] أبو تميم معد بن أبي الحسن علي بن الم ، اشتهرت أيامه ستين سنة،تولى زمام الكم بعد وفاة الظاهر المعز لدين الله أبو الحسن علي بن حالكم منتصف شعبان سنة 327هـ.(انظر: ابن خلدون ، العبر ،ج4،ص78 ؛ ابن الكثير، المصدر السابق،ج12، ص148).

[4] أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر ،الدار المصرية العامة، القاهرة ،2007م ،ص43.

[5] اعتمد الفاطميون خلال مراحلهم التاريخية ،على عناصر مختلفة من الجيش من بينهم البربر والأتراك والعبيد والسود والبدو الذين هاجروا إلى مصر، فشكلوا بذلك طلائع الجيش الفاطمي وقت الحرب .(انظر:سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين في شمالي افريقية ومصر وبلاد الشام ،ص334).

الفرصة في التحكم في المستنصر[1]إلى غاية وفاته[2]، وبعد وفاة الخليفة المستنصر سنة 487هـ /1094م، و مبايعة المستعلي بالله[3] و هو الابن الأصغر أبا القاسم،كان القائم بأمره الوزير الأفضل شاهنشاه[4]، و في الأصل أن المستنصر قبل وفاته عين نزار[5] الابن الأكبر خليفة له، و لم يرضى الأفضل بهذا القرار بسبب خلاف قديم بينهما[6]، فاستغل الوزير الأمر لصالحه و جمع رؤساء الدولة و رشح أبا القاسم للخلافة، و ذلك بعد وفاة المستنصر فبايعوه في 18 ذي الحجة 487هـ /1094م و هو في سن العشرين، ليترأس كرسي الخلافة، و بعد هذه الأحداث مباشرة وصل الخبر إلى نزار الابن الأكبر و لم يتقبل[7] ولاية أبي القاسم ، فخرج إلى الإسكندرية ، وقام بثورة فيها ، فبايعه أهلها ولقبوه

[1] امتد نفوذ الوزير بدر الجمالي بحجر الخليفة المستنصر ، ولم يسمح له بالظهور إلا مرتين في السنة ،أبطل رسوم الخلافة وجعلها في اسمه ،ونقل دواوين الدولة ،كذلك بنى قصرا وبستان سماه بالروضة حتى اليوم .(انظر : احمد المختار العبادي ،المرجع السابق ، ص307).

[2] احمد المختار العبادي ،المرجع السابق ، ص342_344.

[3] هو الخليفة الملقب بالمستعلي أبو القاسم ،صاحب مصر قام بالأمر في ذي الحجة ،وقام بعده ابنه علي وهو في التاسعة من العمر .(انظر: ابن كثير، المصدر السابق ،ج12،ص162).

[4] هو أحمد بن بدر الجمالي أبو القاسم شاهنشاه الملقب بالملك الأفضل، ولد بعكة سنة 458هـ و خلف أباه في إمارة الجيوش المصرية ذات أصول أرمانية، كانت مدة ولايته 28 سنة. (انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج1، ص 103).

[5]الابن الأكبر للخليفة العبيدي الفاطمي المستنصر، عينه أبوه قبل وفاته خليفة له، إلا أن الأفضل أجلس أخوه الأصغر على كرسي الخلافة، ليثور هذا الأخير على الخليفة لينتهي به الأمر مقتولا، عن يد أخيه المستعلي بالله. (انظر: ابن ميسر (تاج الدين محمد بن علي)، أخبار مصر، تح أيمن فؤاد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار، القاهرة، ب س ط، ص 23).

[6] يقال أن هذا الخلاف كان بسبب الأفضل في احد الأيام ، عند دخوله إلى قصر الخلافة لم ينزل من فرسه ،فراه نزار وقال له :"انزل يا أرمني النحس"! فحقد عليه الأفضل ،وعمل على تولية المستعلي الابن الأصغر للمستنصر .(انظر احمد مختار العبادي ،المرجع السابق ،ص310).

[7]ابن خلدون، العبر، ج4، ص 84.

بالمصطفى لدين الله[1] كان مستعينا بالوالي أفتكين[2] أحد مماليك أمير الجيوش بدر الجمالي[3] (والد الأفضل) ليجهزوا جيشا على الأفضل و ينهزم في أول معركة[4]، ليعيد الكرة عليهم و يهزمهم ، وقدم بهم للقاهرة فقتل الأفتكين الطاغي، ثم أمر المستعلي بالله ببناء سور عليه و حجز نزار هناك حتى وفاته.[5]

لتنتهي هذه الأحداث الشنيعة التي شهدتها مصر في هذه الفترة بحقد الوزير الأفضل على كل من ساند نزار من الأهالي، فعانت الإسكندرية من عدة مشاكل سياسية و نوعا من الهدم و الخراب، ليصل جبروت الحكام إلى قتل عدد من العلماء.[6]

ثانيا: الحياة الثقافية و الدينية:

أ_ الحياة الثقافية:

يذكر لنا الطرطوشي عند وصوله إلى مصر في أواخر سنة 490هـ/1097م ، كانت تفتقر إلى العلم و العلماء، و خالية من المساجد و المدارس، بسبب المجاعة التي حدثت في

[1] احمد المختار العبادي ،المرجع السابق ،ص306 .

[2]معز الدولة بن بويه، تغلب على دمشق و خرج على العزيز العبيدي صاحب مصر، توفي بعد حملته على عبد العزيز مشنوقا في رجب 372. (انظر ابن خلدون، العبر، ج4، ص 45).

[3]صاحب جيوش مصر، و مدير المماليك الفاطمية، علاقة محبة للعلماء، تمكن أيام المستنصر من فتح بلدان كثيرة، امتدت أيامه و مدحه الشعراء كثيرا، توفي في ذي القعدة و قام بالأمر من بعده ابنه الأفضل. (انظر: ابن الكثير، المصدر السابق، ج12، ص 148).

[4]ابن ميسر، المصدر السابق، ص 22.

[5]الأتابكي(جمال الدين أبي المحاسن)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، تح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ج5، بيروت، لبنان،1413_ 1994م، ص141_142.

[6]الطرطوشي، سراج الملوك، ص 21.

الإسكندرية في عهد الخليفة المستنصر، و حدوث فيضانات النيل[1] الذي استمر سبع سنوات، فاشتد فيها الغلاء و عدمت الغلال و ضاعت هيبة الخليفة و الدولة، و اختلاف المذاهب بسبب ملاحقة الفاطميين لعلماء السنة و قتلهم و إيذائهم[2] ، فلما أراد هذا الأخير قصد أرض مصر عقد النية على أن يصطحب معه زميله عبد الله السائح[3] ، الذي تعرف عليه في لبنان، و ظل يحاوره ليقنعه بالرحلة، بسبب استصعاب هذا الأخير العيش بهذه البلد، فأخذ الطرطوشي يطمئنه أن هناك من المباح ما يضمن لهما كسبا حلالا، و كان يقصد بذلك الملح و الحطب[4]و من هذا تبين كذلك أن الطرطوشي يندفع إلى حب مخالطة الناس و مقابلتهم و خاصة نشر العلم رغم نزعته الصوفية.[5]

فحسب ماذكره الضبي في كتابه "بغية الملتمس"[6]: أن الطرطوشي وصل إلى مصر و بها الوزير الأفضل شاهنشاه، الذي بلغت الوزارة عظمتها في عهده[7]، ليحط رحاله بمنطقة رشيد كأول وجهة له بمصر، ساعيا لجمع قوت يومه بيده، فكان يجمع أغصان الحطب على ظهره ليبيعها ويستفيد من ثمنها ، إلى أن جاءه وفد من الإسكندرية على رأسهم ابن حديد[8]،بحثا عن الفقيه الذي سمع به

[1]في خلافة المستنصر الثانية الممتدة من 450هـ_487هـ ، عرفت هذه الفترة أزمة شديدة نتيجة عامل اقتصادي وأخر سياسي، مما ساهم في انتشار المجاعات والأوبئة والجهل وقتل العلماء ، فاضطر المستنصر إلى الاستنجاد بوالي عكا أمير الجيوش بدر الجمالي . (انظر:احمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص301_302).

[2]الطرطوشي، سراج الملوك، ص 21.

[3]سراج الدين أبو حفص عمر بن محمد المغربي الدمتهوري الشهير بالسائح ،ولد بالمغرب ،وساح طويلا حتى وصل مكة ،تولي بها مشيخة الإقراء في الحرم توفي سنة 684هـ ،ودفن بزاويته ومقامه بها .(انظر: أبي علي الحسن ،طبقات الشاذلية ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، ص65).

[4]الطرطوشي ،سراج الملوك ،ص 60_61.

[5] جمال الدين الشيال ، الطرطوشي ،ص40.

[6]الضبي،المصدر السابق ، ص176_178.

[7] احمد المختار العبادي ،المرجع السابق ،ص306.

[8] هو محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الكناني المصري الشافعي ابن حديد صاحب كتاب " الفروع" ولد سنة 264 هـ .(انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج1، ص 445).

أهالي الإسكندرية، ألا وهو الطرطوشي ليلتقي برجال الوفد و يستمع ما حدث[1]لفقهائهم و علمائهم و ما وصلت إليها الأحوال و مجالس العلم بها بعدما قتل العبيدي صاحب مصر جماعة من علمائها، فألقوا رغبتهم في أن ينتقل معهم إلى الإسكندرية لإحياء الشعائر الدينية المعطلة و إعادة الحياة العلمية الدؤوبة إلى عهدها السابق[2]، ليواصل رحلته للإسكندرية فلم يلبث إلا قليلا حتى عرف و اشتهر .

وكانت حلقات دروسه تعج بالطلاب ،خاصة بعد أن عمل على تأسيس مدرسته[3]، ليتوجه بعدها إلى القاهرة ،و يذهب خصوصا لزيارة الملك الأفضل بعد أن سمع عن جبروت و استبداد الحكام بالقاهرة، فقرر الذهاب إليه و نصحه و وعظه لما يليق بالسلاطين و هذا ما ذكره الطرطوشي في موعظته[4] للسلطان شاهنشاه في "سراج الملوك" و جاء فيها: " أيها الملك إن الله تعالى ألزم الورى طاعتك، فلا يكون أحد أطوع الله منك...". و هذه الموعظة التي ذكرها الطرطوشي تدل على جرأته و نشر العدل بين الناس .

لم يرو لنا الطرطوشي كيف تقبل شاهنشاه هذا الكلام و هو في أوج سلطانه و عظمته، و بعد هذا الخطاب عاد الطرطوشي من جديد للإسكندرية بعدما أدى النصح و برهن له على واجبات السلاطين، تفرغ الطرطوشي للتعليم و زاد عدد طلابه، و اشتهرت سيرته فأقبلوا على دروسه. و اصطنع لهم طريقة قريبة للتربية و التعليم و الحديث[5].

لكن سرعان ما انقلبت عليه الأمور بعد هذا الإقبال الكبير، فقد ضاق به قاضي الإسكندرية (ابن حديد) ضيقا شديدا، خاصة بعد أن أحدث نهضة علمية في البلد و اهتم الناس

[1] الأمير شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار و الأثار الأندلسية، مؤسسة الهنداوي، مصر، القاهرة، ج3، د س ط، ص 18.

[2]الطرطوشي، سراج الملوك، ص 20-22.

[3]جمال الدين الشيال، الطرطوشي، ص 46.

[4]محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 291.

[5]الطرطوشي، سراج الملوك، ص 23-24.

به، و كان للطرطوشي فتاوى كثيرة يحث فيها الولاة و السلاطين و يعارضهم على قواعدهم التي يسيرون عليها و ينتقدهم في أغلب الأحيان. كانتقاده السياسي لابن حديد، بعد أن أخذ على بعض تصرفاته المالية و فرض المكوس التي تنافي الدين الإسلامي و قواعد الشرع ، ليقوم القاضي بجمع هذه المواضيع كلها و رفعها إلى الوزير الأفضل و برهن فيها ببيان لخطورة أفكار الطرطوشي بمثابة تهديد للأمن الاجتماعي بسبب كثرة انتقاداته لنظم الدولة.[1]

ويذكر ابن فرحون هذا في قوله :"وهذا من جملة مارفعه عنه القاضي ابن حديد إلى العبيدي _ يقصد الخليفة الفاطمي _ووشى به إليه في أمور غيرها ، وان الطرطوشي يذكر ابن حديد ذكرا قبيحا ، لما كانوا عليه من اخذ المكوس والمعونة على المظالم ،وان يفتي بتحريم الجبن الذي يأتي به النصارى ،ويفتي بقطع محرمات كثيرة ،فخاطب بذلك بنو حديد وذكروه للسلطان "[2].

فحددت إقامة الطرطوشي في مسجد جنوب الفسطاط ليمنع الناس من الاتصال به ، وتحديد راتب شهري له قدر ببضعة دنانير هو وخادمه ليشتد كره الطرطوشي للأفضل، فقال لخادمه:" إلى متى نصبر ؟ اجمع لي المباح من الأرض ، فجمع له ،فأكله ثلاثة أيام ، وبعدها قال لخادمه _رميته الساعة _ " ومعنى هذا أن الطرطوشي لما اشتد به الضيق ، امتنع عن الأكل من عند الأفضل لمدة ثلاث أيام ، وفي هذه الأيام كان يعتكف إلى الله ليسهل أموره ، لتنكشف الغمة عنه بعد وفاة الأفضل في يوم عيد الفطر[3] من سنة 515هـ / 1121م ،ليتولى مكانه المأمون البطائحي[4] ليخرجه من حبسه .[5]

[1] جمال الدين الشيال، الطرطوشي، ص 54.

[2] ابن فرحون ،المصدر السابق ،ص246_247.

[3] جمال الدين الشيال ،الطرطوشي ، ص56_57.

[4] المأمون البطائحي (جمال الدين)، أخبار مصر، تح أحمد فؤاد شيد، المعهد العلمي الفرنسي، ب س ط، ص 6_ 8؛ عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 292 .

[5] المقري، المصدر السابق، ص 88 ؛ أحمد أبو كف ، المرجع السابق، ص 148_ 149.

استأنف الطرطوشي ، حياته و نشاطه الفكري من جديد كانت تشغله دائما الأمور التي يراها منافية للشرع و العدل في المجتمع، و خشي على الوزير الجديد أن يسير على نهج سلفه ، فبدأ بعد عودته إلى الإسكندرية في تأليف كتاب له لمدة سنة كاملة ، ليقدم له الكتاب بين يديه[1]، فهذا الكتاب شمل مختلف التطورات التي شهدها بالأندلس في شبابه و كذلك بعض الأحداث التي كانت بمصر و العراق و الشام، فكان استقباله من طرف الوزير بمنتهى المودة و الإكرام[2].

ويذكر ذلك ابن فرحون في قوله: " أن الطرطوشي عندما نزل في الإسكندرية كان قد قتل الأمير علمائها فوجد البلد عاطلا عن العلوم ، فأقام بها علما جما، و كان يقول: " إن سألني الله تعالى عن المقام بالإسكندرية لما كانت عليه في أيام الشيعة العبيدية من ترك إقامة الجمعة ومن غير ذلك من المناكر التي كانت في أيامهم ، أقول له: " وجدت قوم ظلالا ، فكنت سبب هدايتهم. [3]

وفي هذا الصدد أقبل عليه الطلاب ، و تجمع حوله الناس لحضور حلقاته، و فتحت المدارس عليده[4]، تزوج الطرطوشي في الإسكندرية[5]، فقرر الطرطوشي ان ينشأ دار من اموال زوجته، و يجعل تلك الدار على طراز المدارس النظامية التي رآها في بغداد أثناء رحلته، و التحق بتلك المدرسة الكثير من طلبة العلم، و منهم الغرباء الوافدين للإسكندرية[6]، و اصطنع لهم الطرطوشي طريقة جديدة في التعليم، هي الأقرب ما تكون للتربية بالنظم الحديثة، فلم تقتصر علاقتهم مع طلبته و تلاميذه من حلقات الدرس فقط، بل كان يصحبهم و يخرج معهم إلى رحلات خارج المدينة إلى البساتين و المتنزهات و هناك يلقي الدروس في الهواء الطلق أو يذاكرهم فيها حفظوه و درسوه فأعجبت هذه الطريقة تلاميذه فأقبلوا عليها و كثر عددهم، حتى كان إذا خرج في رحلته يخرج مع مجموعة لا تقل

[1] الطرطوشي، سراج الملوك، ص 26.
[2] عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 292.
[3] ابن فرحون، المصدر سابق، ج1، ص246-247.
[4] أحمد أبو كف، المرجع السابق، ص 147.
[5] الطرطوشي، سراج الملوك، ص 23.
[6] جمال الدين الشيال، الطرطوشي، ص 42.

عن أربعمائة طالب، هذا ما وصفه لنا تلميذه أبو عبد الله محمدبن عبد الرحمان التجيبيي يقول: "كان الطرطوشي صاحب نزهة مع طلبته في أكثر الأوقات، يخرج معهم إلى البستان في صحبته و خدمته[1](...).

وأقام الطرطوشي في القاهرة شهرين ، ليعود من جديد وفي هذه الأثناء أمر المأمون للبطائحي، ابن حديد ببناء مسجد[2] الذي يختاره الطرطوشي و الإشراف عليه ، لتكون النفقة من مال الوزير.[3]

أ- الحياة الدينية:

انتهجت مصر المذهب الشيعي[4] كمذهب رسمي للدولة، في حين كان الغالبية من علمائها يتبعون المذهب المالكي[5]، تشير الأستاذة سعاد ماهر في كتابها "مساجد مصر وأولياء الله الصالحين "أنه على الرغم من أن المذهب الرسمي للدولة الفاطمية كان هو المذهب الشيعي الفاطمي ،وان الدولة بذلت جهودا كبيرة في نشره ،فقد ظلت الإسكندرية "سنية" ، على مذهب الإمام مالك ،ويرجع سبب ذلك إلى مرابطة الكثير من القبائل العربية ،فقد داء الخلفاء الراشدون الأربعة، وكذلك خلفاء الدولة الأموية العباسية على أن يبقى ربع الجيش الموجود في مصر بمدينة الإسكندرية لحمايتها وحماية حدود مصر الشمالية.[6]

[1] جمال الدين الشيال ، الطرطوشي ، ص 51.

[2] للاطلاع على صور المسجد . انظر الملحق 03 ، ص80.

[3] الطرطوشي، سراج الملوك، ص 28.

[4] قيل لهم شيعة لأنهم شايعوا علي ، و يقوم هذا المذهب على علم الإمامة ليست من المصالح لعامة بل يكونوا بتعيين إمام، معصوم من الكبائر و الصغائر.(انظر:محمد الصلابي ، المرجع السابق ،ص13).

[5] هو أحد المذاهب الدينية الإسلامية، نشأ في القرن الثاني الهجري، و مؤسسه هو الإمام المالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي. (انظر: محمد المختار المامي، المذهب المالكي، مركز زايد للتراث، 1422هـ-2002م، ص 7).

[6] سعاد ماهر ،مساجد مصر وأولياؤها الصالحين ،إشراف محمد توفيق عويضة ،جمهورية مصر العربية ،ج1،ص233.

ومن علمائها الذين برزو في هاته الفترة : الطرطوشي الذي بلغ مرتبة الإمامة كفقيه من أقطاب الفقه المالكي[1] ، و تمثلت مكانته في المسائل التي كانت تطرح عليه، مثل مسألة ابن تشفين الذي طلب فتواه إلى جانب فتوى أبي حامد الغزالي في المسائل الخاصة، خاصة في مسألة خلع ملوك الطوائف[2]،والقضاء على دولهم و اعتبارهم خارجيين عن أحكام الشريعة و الدين، و هو ما أفتى به فقهاء المغرب و الأندلس ، وقد اصدر الطرطوشي هذه الفتوى لمساعدة ابن تاشفين في القضاء على ملوك الطوائف وتوحيد بلاد الاندلس[3]

وتولى الطرطوشي بمدينة الإسكندرية مكانة الإمام باعتباره أديب بارع شاعر فضلا عن تضلعه في الشريعة و مسائل الخلاف[4]، و اتسم ابصفة الحق و العدل بين الناس، و اشتهر بموعظته للوزير لأفضل ناصحه بأن يخشى الله في رعيته و أن يتضرع لله لشاكر إياه، الفعل و ليس بالقول فقط مستندا لقوله تعالى: " اعملوا آل داود شكرا" [5]،و يذكره بقدرة الله تعالى فهو القادر الرازق على كل شيء فكل أمور الكون تجري بأمره كما جاء في قوله تعالى:"هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر"[6] فهذا الخطاب الذي وجه للأفضل لم يكن من عدم ، بل كان استنادا إلى النصوص القرآنية كحجج و براهين لأقواله[7].

وتمثل أمور الدولة و تصحيح الهفوات التي وقع فيها الأفضل، من خلال تأليفه لكتابة المشهور ب " سراج الملوك " الذي قدمه كهدية للمأمون البطائحي ، وقد تطرق في كتابه هذا الى الأخطاء

[1] الطرطوشي سراج الملوك، ص 21.

[2] فترة صعبة مرت بها الاندلس . بدات بعد استقلال كل أمير بناحيته ، واعلان نفسه ملكا عليها وهو مايسمى بالعصر الجديد "عصر الطوائف"وهو نتاج لسقوط الدولة الاموية بالاندلس 422هـ/1009م،وهذا ما تسبب في انقسام الاندلس الى دويلات صغيرة متنازعة .(انظر :عبد الحميد عبية ،موجز تاريخ الاندلس ،مكتبة المهدية ،القاهرة ،ب س ط ،ص34.)

[3] ابن فرحون، المصدر السابق، ص 372؛ عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 297.

[4] عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 298.

[5] سورة سبأ، الآية 13.

[6] سورة النمل ، أية 40.

[7] الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص23 _ 24.

التي وقع فيها الأفضل كما تضمن ايضا النظم المتبعة في الدولة من أمور سياسية وغيرها ومنها مسألة الميراث في مصر ، بعد أن كان القضاة في العصر الفاطمي يتبعون المذهب الشيعي الذي ينص على أن البنت ترث كل ما يترك أبوها إذا كانت وحيدة ، وتقضي هذه النصوص أيضا إن القضاة المشرفون على توزيع الميراث لأموال اليتامى يحق لهم ربح العشر من هذه الأموال[1] ، كان هذا الأمر بالنسبة للطرطوشي مخالف للشرع بالنسبة للمذهب المالكي ، فوافق المأمون على هذه النظم الخاصة بالميراث على حسب المذاهب ، فمن كان سنيا اتبع المذهب السني المالكي ومن كان شيعة اتجه للمذهب الشيعي [2]، لتسمى وزارة المأمون من أزهى مراحل التاريخ الفاطمي في مصر[3].

و في الأخير نستنج ان الطرطوشي توجه إلى بلاد الشام سنة 490هـ/1097م ، بهدف نشر المذهب المالكي ليشتهر فيها وينتفع الناس بعلمه .وبعد أن مكث الطرطوشي عشر سنوات ببلاد الشام ، شد رحاله إلى مصر خاصة بعد تعطل الحركات العلمية ووفاة العلماء والفقهاء بسبب الحملات الصليبية التي دفعته للانتقال لبلاد الرشيد ، ليستقر به المقام بعدها في الإسكندرية وكان سبب إقامته بها هو افتقارها إلى المساجد والمدارس و العلماء ، ليكرس حياته في نشر العلم وتفقيه الناس وتوثيق صلتهم بكتاب الله وسنة رسوله _عليه الصلاة والسلام_ ،لتتعاظم أعداد طلابه ومريديه في الإسكندرية ممن تعلَّقوا بالإمام الطرطوشي، تلك الشخصية الزاهِدة المتواضعة ذات العلم الجَم ، فنفع طلبة العلم ،لأنه أضاف لهم طريقة جديدة في التعليم ، و بعدها استقر بالإسكندرية حتى وفاته سنة 520هـ/1126م، بعد رحلة علمية طويلة وشاقة مليئة المحن والابتلاءات .

[1] المأمون البطائحي ، المصدر السابق ، ص 25 _26.

[2] الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص 27.

[3] سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين ، ص399.

الخاتمة

من خلال بحثنا في موضوع "صورة المشرق الإسلامي من خلال كتاب سراج الملوك لأب بكر الطرطوشي "خرجنا بمجموعة من النتائج أهمها :

_أن أبا بكر الطرطوشي نشأ نشأة علمية منذ نعومة أظافره ، ويعود الفضل في ذلك إلى مدينة طرطوشة التي ولد بها سنة 451هـ/1059م ، ليكون أشهر من انتسب إليها من العلماء ،وهو اللقب الذي عرف به .

_ و مع انتشار ظاهرة التصوف ببغداد في القرن 5هـ/11م التي تعتبر من أهم الظواهر التي انتهجها معظم العلماء منهم الطرطوشي ، الذي سار على خطى المتصوفة منذ أن دخل بغداد .

_كما نستنتج من خلال هذه الدراسة أن الطرطوشي انتقل من مرتبة الإلمام بالعلوم وجمعها إلى مرتبة التدريس .

_تمثل دور الطرطوشي بالرشيد في إحياء العلوم واستقطابه للعديد من الطلاب ، هذا ما دفع بالقاضي ابن حديد للانتقال من الإسكندرية للانتقال بالطرطوشي لإقناعه بالرحيل إلى الإسكندرية لإنعاش العلوم التي باتت معدومة بسبب ور الفاطميين هذا ما عكس لنا أهمية العلوم التي اشتهر بها الطرطوشي في المشرق .

_ومع استقرار الطرطوشي في الإسكندرية تزوج هناك ، وأسس حياته الخاصة لتصبح له مدرسة كانت وجهة لآلاف الطلاب من المشرق والمغرب .

_عاش الطرطوشي في الإسكندرية وعرف بسخائه وحدة لسانه في الوعظ ، من خلال وعظه للسلطان شاهنشاه بالقاهرة بانتقاده للسياسة المنتهجة من طرف الحكام ، ما أدى إلى نفيه لمدينة الفسطاط ومنع الناس من الاحتكاك به ، إلى ان يطلق سراحه بعد تولي المأمون البطائحي الوزارة .

_كما تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن التكوين العلمي والديني الذي لقيه الطرطوشي ومعايشته للأحداث السياسية سواء مشرقا أو مغربا ، كان له دور كبير في الإلمام بالأمور السياسية والشروط

الواجب توفرها في الحاكم وهو ماتجسد في كتابه الفريد من نوعه "سراج الملوك "الذي يعتبر من الكتب السياسية التي تحمل في مضمونها مايجب آن يكون عليه الحاكم وصاحب الحكم ومختف الأحداث التي صادفها الطرطوشي منذ رحلته للمشرق ، ليكون هذا الكتاب كهدية شكر للوزير المأمون البطائحي .

_كما يعتبر هذا الكتاب "سراج الملوك"مصدر تاريخي وجغرافي مهم ،وذلك بالنظر لما تضمنه من معلومات قيمة حول الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في البلدان التي زارها الطرطوشي.

الملاحق

الملحق رقم (01)

فيما ذكر عن بناء المدارس ببغداد :

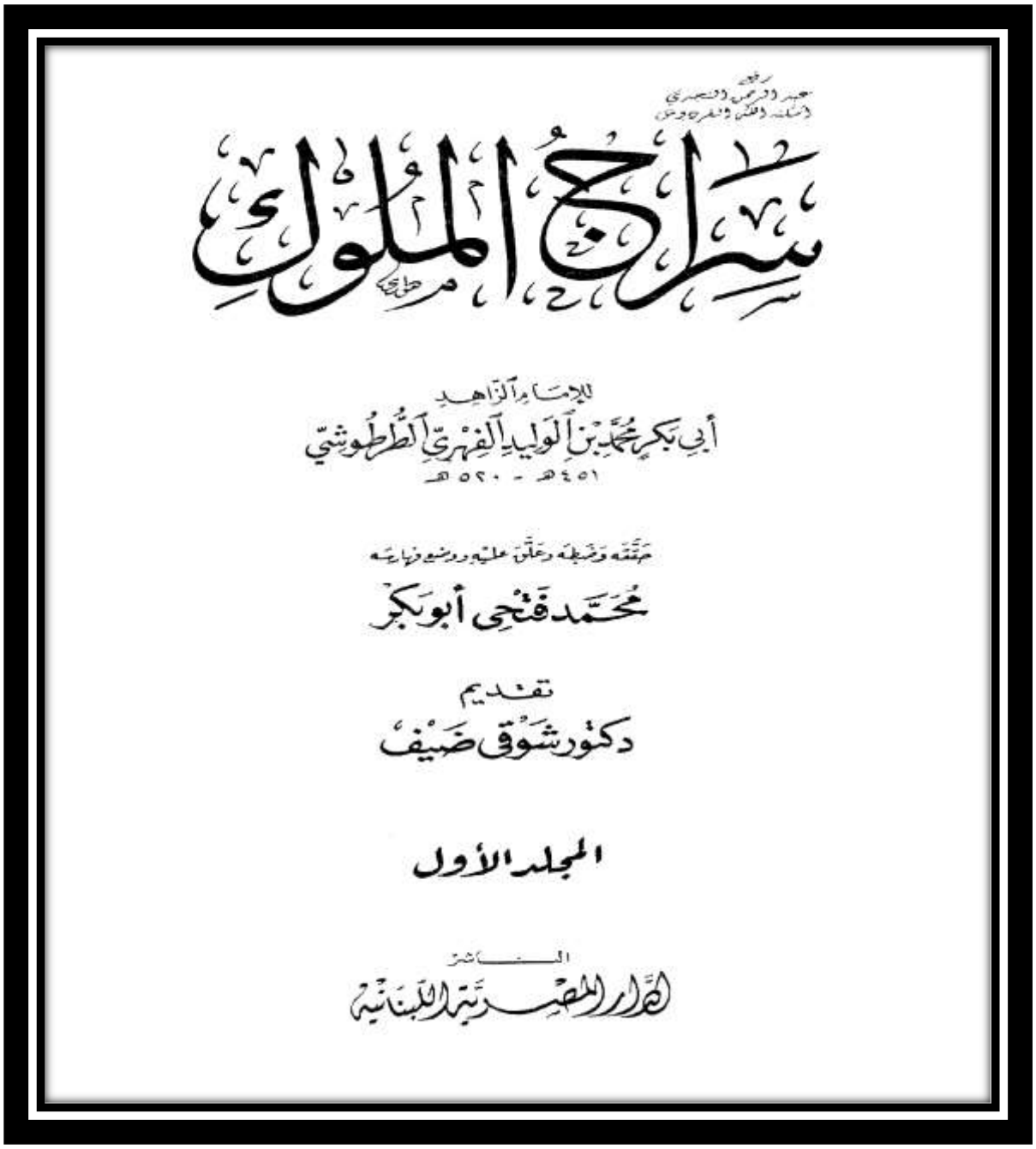
وَمِنْ مَنَاقِبِ هَذَا الرَّجُلِ وَفَضَائِلِهِ أَنَّ رَجُلًا قَصَدَهُ يُقَالُ لَهُ : أَبُو سَعِيدٍ الصُّوفِيُّ ، فَقَالَ لَهُ : يا خَواجَا ، أَنَا أَبْنِي لَكَ مَدْرَسَةً بِبَغْدَادَ مَدِينَةِ السَّلَامِ ، لا يَكُونُ فِي مَعْمُورِ الأَرْضِ مِثْلُهَا ، يَخْلُدُ بِهَا ذِكْرُكَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ . قَالَ : افْعَلْ . وَكَتَبَ إِلَى وُكَلَائِهِ بِبَغْدَادَ [1] أَنْ يُمَكِّنُوهُ مِنَ الأَمْوَالِ ، فَابْتَاعَ بُقْعَةً عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ ، وَخَطَّ الْمَدْرَسَةَ النِّظَامِيَّةَ ، وَبَنَاهَا أَحْسَنَ بُنْيَانٍ ، وَكَتَبَ عَلَيْهَا اسْمَ نِظَامِ الْمُلْكِ ، وَبَنَى حَوْلَهَا أَسْوَاقًا تَكُونُ مُحْبَسَةً [2] عَلَيْهَا ، وَابْتَاعَ ضِيَاعًا [3] وَخَانَاتٍ وَحَمَّامَاتٍ وَأَوْقَفَتْ عَلَيْهَا ، فَكَمَلَتْ [4] لِنِظَامِ الْمُلْكِ بِذَلِكَ رِيَاسَةٌ وَسُؤْدُدٌ [5] ، وَذِكْرٌ جَمِيلٌ طَبَّقَ الأَرْضَ خَبَرُهُ [6] ، وَعَمَّ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ أَثَرُهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سِنِي عَشْرِ الْخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ [7] ، ثُمَّ رَفَعَ حِسَابَ النَّفَقَاتِ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ ، فَبَلَغَ مَا يُقَارِبُ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، ثُمَّ نَمَى الْخَبَرُ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ مِنَ الْكُتَّابِ وَأَهْلِ الْحِسَابِ [8] أَنَّ جَمِيعَ مَا أُنْفِقَ فِيهَا نَحْوٌ مِنْ [9] تِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَنَّ سَائِرَ الأَمْوَالِ احْتَجَبَهَا لِنَفْسِهِ وَخَانَكَ فِيهَا . فَدَعَاهُ نِظَامُ الْمُلْكِ إِلَى أَصْبَهَانَ [10] لِلْحِسَابِ ، فَلَمَّا أَحَسَّ أَبُو سَعِيدٍ بِذَلِكَ أَرْسَلَ

إِلَى الْخَلِيفَةِ أَبِى الْعَبَّاسِ (١) يَقُولُ (٢) : هَلْ لَكَ فى أَنْ أُطَبِّقَ الأَرْضَ بِذِكْرِكَ ، وَأُنْشُرَ لَكَ فَخْرًا لا تَمْحُوهُ الأَيَّامُ ؟ قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ نَمْحُو اسْمَ نِظَامِ الْمُلْكِ عَنْ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ وَنَكْتُبُ عَلَيْهَا اسْمَكَ (٣) وَنَزِنُ لَهُ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ ! فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْخَلِيفَةُ يَقُولُ لَهُ : أَرْسِلْ (٤) مَنْ يَقْبِضُ الْمَالَ . فَلَمَّا اسْتَوْثَقَ مِنْهُ مَضَى إِلَى أُصْبَهَانَ (٥) ، فَقَالَ لَهُ نِظَامُ الْمُلْكِ : إِنَّكَ قَدْ رَفَعْتَ (٦) إِلَيْنَا نَحْوًا مِنْ سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ نَفَقَةً ، وَأُحِبُّ إِخْرَاجَ الْحِسَابِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ : لا تُطِلِ الْخِطَابَ ، إِنْ رَضِيتَ وَإِلَّا مَحَوْتُ اسْمَكَ الْمَكْتُوبَ عَلَيْهَا وَكَتَبْتُ عَلَيْهَا اسْمَ غَيْرِكَ ، وَأَرْسِلْ مَعِى مَنْ يَقْبِضُ الْمَالَ . فَلَمَّا أَحَسَّ نِظَامُ الْمُلْكِ بِذَلِكَ قَالَ : يَا شَيْخُ قَدْ سَوَّغْنَا (٧) لَكَ جَمِيعَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَلَا تَمْحُ اسْمَنَا .

أبو بكر الطرطوشي ، سراج الملوك ،ص 516، 517 .

الملحق رقم (02) :

واجهة كتاب "سراج الملوك " لأبي بكر الطرطوشي.


سراج الملوك

للإمام الزاهد

أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي

٤٥١ هـ - ٥٢٠ هـ

حققه وضبطه وعلق عليه وشرح غريبه

محمد فتحي أبو بكر

تقديم

دكتور شوقي ضيف

المجلد الأول

الناشر

الدار المصرية اللبنانية

الخرائط

الخريطة (01):

قبائل الحجاز في القرون الهجرية الثلاثة الاولى



حسين مؤنس،أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي،القاهرة ،ط1 ،1407هـ/1987م ص56.

صورة مسجد الطرطوشي بالاسكندرية

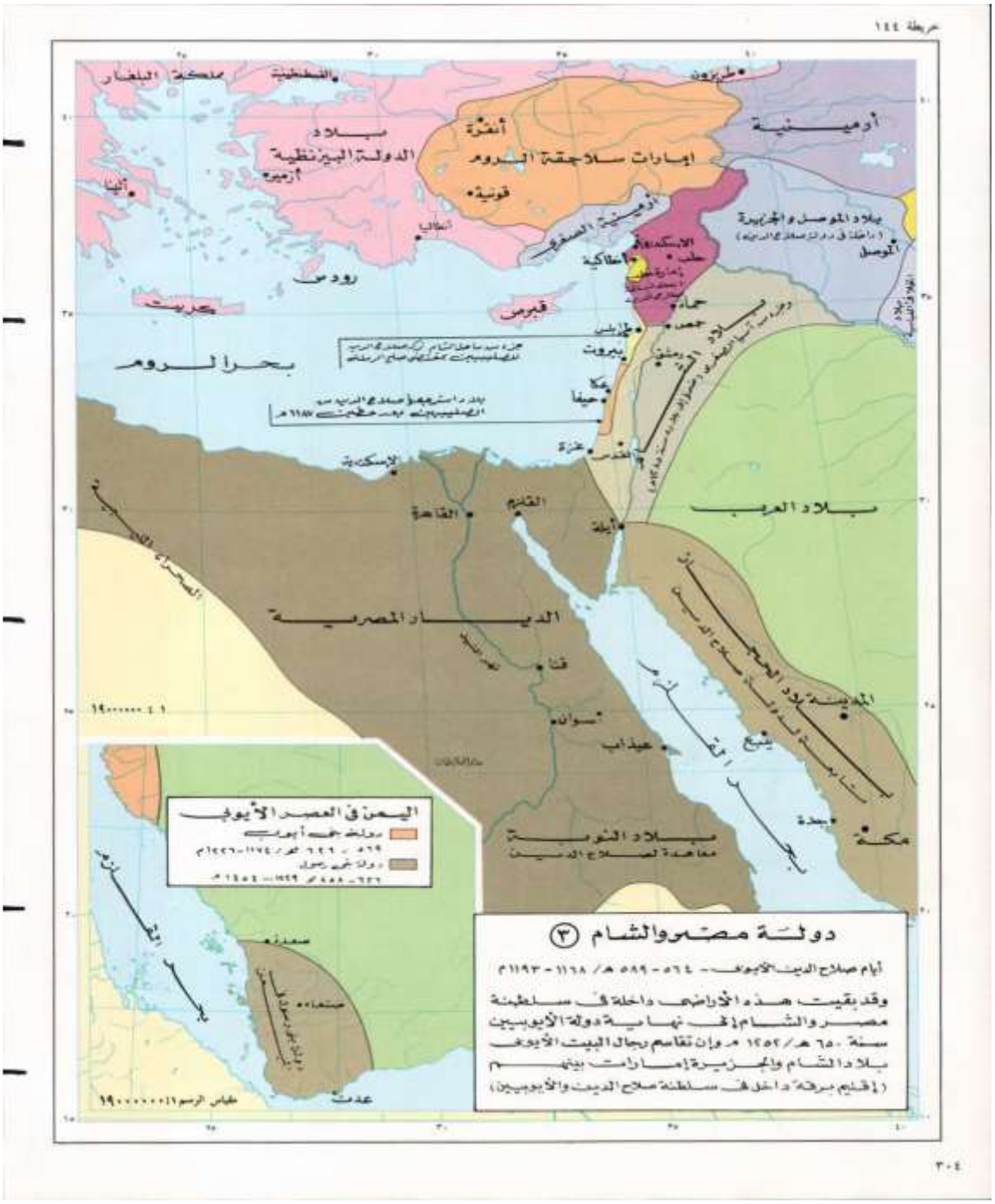


الموقع :

https://www.elmydannews.com/img/12/3/123830.jpg

الخريطة رقم(03):

مصر والشام أيام صلاح الدين الأيوبي



حسين مؤنس ،أطلس تاريخ الاسلام ،ص304

قائمة المصادر والمراجع

أولا :المصادر:

1_القران الكريم.

2_ابن الاثير(عزالدين أبي الحسن):ت1233هـ

_الكامل في التاريخ ،تحقيق عمر عبد السلام تدمري ،دار الكتاب العربي ،بيروت لبنان،جزء8، 2012م.

3_ابن العربي (ابوبكر) ت 543هـ

_قانون التأويل،تحقيق محمد سليماني،دار القبلة للثقافة الاسلامية،جدة،بيروت ، الطبعة1، 1406هـ/1986م.

4_ابن بشكوال (ابي القاسم) ت1183م

_الصلة ، تحقيق إبراهيم الابيار، دار الكتاب المصرية ، القاهرة ، الطبعة 2، الجزء 2 هـ578/1183م.

5_ابن بطوطة(شمس الدين محمد الطنجي)ت779هـ/1377م

_تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الإسفار، تقديم وتحقيق محمد عبد المنعم العريان، راجعه مصطفى القصاص ،دار إحياء العلوم،بيروت، الطبعة 1 ،1407هـ/1987م.

6_ابن جبير (أبو الحسن محمد) ت 614هـ/1217م

- رحلة الكاتب الأديب البارع اللبيب، مركز ودود للمخطوطات موقع شيخة المري، دون تاريخ.

7_ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): ت 808 هـ/1405م

_تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،مراجعة سهيل زكار،دار الفكر،بيروت،2000م.

_ مقدمة ابن خلدون،تحقيق عبد الله محمد درويش، دار يعرب،دمشق،الطبعة1، 2004م.

8_ابن خلكان(محمد ابن أبي بكر)ت1282

_وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس،دار صادر بيروت، جزء4، دون تاريخ.

9_ابن فرحون (المالكي)ت1397م

_الديباج المذهب ، تحقيق محمد أبو النور ،دار التراث للطبع والنشر ، القاهرة ،بدون تاريخ.

10_ابن كثير (أبو الغداء الحافظ) ت774هـ/1373م

-البداية و النهاية، مكتبة المعارف، بيروت، جزء11، 1416 هـ- 1991 م .

11_ابن ميسر (تاج الدين محمد بن علي)ت 677هـ/1278م

_أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار، القاهرة، دون تاريخ.

12_ابن حزم(محمد علي)ت456هـ

_الفصل في الملل والاهواء والنحل، تحقيق محمد ابراهيم نصير ،دار الجيل ، بيروت ،الجزء1،بدون تاريخ.

13_أبو بكر ابن العربي (أبو محمد عبد الله) ت543هـ

_ قانون التأويل، تحقيق محمد سليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة، مؤسسة علوم القرآن بيروت، الطبعة1، 1406هـ – 1986م .

14_الأتابكي(جمال الدين أبي المحاسن) ت874هـ/1473م

_ النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، جزء5، بيروت، لبنان، 1413 هـ،1994م.

15_الاشبيلي (ابن خير) ت 575هـ/1179م

_الفهرسة،تحقيق بشار عواد معروف،دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة1، 2004م.

16_الأقفهسي(أبو الفتح محمد)ت 808هـ

_أحكام المأموم والإمامة، تحقيق محمد حسين مياطي، دار ابن القيم ،الرياض،دار ابن عفان، القاهرة ،الطبعة1، 1437هـ/2016م.

17_البطائحي(المأمون) ت1125م

_أخبار مصر ،تحقيق أيمن فؤاد شيد ،المعهد العلمي للآثار الشرقية ،القاهرة ،دون سنة الطبع.

18_الحميدي (ابوعبدالله) ت488/1095م

_جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق محمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس،دون تاريخ.

19_الحميري(محمد عبد المنعم):ت9هـ/15م

_الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق إحسان عباس،مكتبة لبنان،الطبعة1988م.

_صفة جزيرة الأندلس، دار الجيل، بيروت، لبنان،الطبعة 1408،2هـ/1988م.

20_الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) ت748هـ/1348م

_سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب أرنأوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405 هـ – 1984 م.

21_الزركلي(خير الدين) ت 1396 هـ / 1976م

_الأعلام،دار العلم للملايين، طبعة7، 1982م.

22_الضبي (أحمد بن يحي بن عميرة)

_بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية، مجلد14، القاهرة، جزء1، 1410-1989م.

23_الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)ت 310هـ/923م

_ تاريخ الأمم والملوك، بيت الأفكار الدولية،الأردن،الطبعة 2، 224 – 310هـ.

24_الطرطوشي (محمد بن الوليد أبو بكر) ت520هـ

_سراج الملوك،تحقيق محمد فتحي أبو بكر، دار صادر اللبنانية ،القاهرة، الطبعة1، 1414هـ/**1994م**.

_الحوادث والبدع،تحقيق علي ابن حسن الحلبي،دار ابن جوزية، جدة، الطبعة 3، الجزء1 1419هـ/1998.

25_الغزالي(ابوحامد)ت1111م

_خواص القران، تحقيق مجدي محمد السهاوي، دون تاريخ .

_ إحياء علوم الدين، دار المناهج، المملكة العربية السعودية،جدة،الجزء3، 1432-2011م،.

26_الفاسي(محمد بن احمد)ت1429م

- العقد الثمين في تاريخ البلد لأمين، تحقيق محمد حامد الفقهي، مؤسسة الرسالة، الجزء1، 775 هـ 832_ هـ.

28_القزويني (زكرياء ابن محمود) ت 682هـ/1283م

- آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، بيروت،دون تاريخ.

29_الإدريسي (الشريفأبو عبد الله محمدبنعبدالعزيز)ت548 /هـ1154

_نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، الجزء1، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة،2002 م.

30_الماوردي (محمد بن حبيب)ت1058

– الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد بغدادي، دار إبن قتيبة، الكويت، الطبعة1، 1409 هـ/ 1979م.

31_المقدسي(البشاري) ت380هـ/ 990م

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولة، القاهرة،ط3 ، 1411هـ/1991م

32_المقري(أحمد بن محمد التلمساني)ت1041هـ/1631هـ

_نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق إحسان عباس ،دار صادر ،بيروت ،1988م.

33_المقريزي (تقي الدين أحمد)ت1445م

_الخطط المقريزية، تحقيق محمد زينهم و مديحة الشرقاوي ، مكتبة مدبولى،القاهرة ، جزء1، 1998.

34_ياقوت الحموي(شهاب الدين أبي عبد الله) ت 626 هـ/1228م

–معجم البلدان ،دار صادر،بيروت، 1977 م.

35-ابن خلكان (محمد ابن أبي بكر)ت1282م

_ وفيات لأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت،دون تاريخ.

36_اليعقوبي(احمد)ت 284هـ

_البلدان، مكتبة العراق، مطبعة الجزيرة،1337هـ/1918م.

ثانيا :المراجع:

1_أبو علي (الحسن):

_طبقات الشاذلية ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان،بدون تاريخ.

2_احمد (محمود):

_قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

3_أعراب(سعيد):

_مع القاضي أبي بكر ابن العربي، دار الغرب الإسلامي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،بيروت، لبنان، طبعة1407،1/1987م.

4_الايبش (احمد) :

_ دمشق الشام في نصوص الرحالين الجغرافيين من 3 هـ إلى 13 هـ، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1998.

5_باتريك (لورو):

_ الإمبراطورية الرومانية ، ترجمة جورج كتوره ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،2008.

6_بروكلمان (كارل):

تاريخ الأدب العربي، دار المعارف،الطبعة3، جزء5، بدون تاريخ.

7_وديع (واصف):

ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق ،المجتمع الثقافي، أبوظبي الامارات العربية ،1421ه/2000م.

8_أحمد بن ابراهيم(محمد):

_تفسير السمرقندي، تحقيق الشيخ علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة 1، 1413ه – 1993م.

9_بن حماد الجهني (نافع):

_الموسوعة المسيرة في الأديان، دار النحوة العالمية، الرياض، الطبعة3 ،الجزء1، 1471ه.

10_الحجري (عبد الله بن نوح):

_التحولات الزيدية ،دار المحدثين ،اليمن ،1432ه/2011م.

11_السباعي (أحمد):

- في السياسة و العلم و الاجتماع والعمران ،الطبعة 1،الجزء1، 1429-1999م.

12_السلومي (عبد الله) :

_اصول الاسماعيلية ،دار الفضيلة ،السعودية ، الجزء1422،1 ه/2001م.

13_ الشيال(جمال الدين):

_ الطرطوشي العالم الزاهد الثائر ، دار الكتابالعربي450_465ه/1057م_1126م.

_ أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي،كلية الأدب لجامعة الإسكندرية،دون تاريخ.

14_الشاشي (أبو بكر):

مقاصد الشريعة ، تحقيق أبو عبد الله محمد علي سمك ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1428هـ/2007م .

15_شبارو(عصام):

-تاريخ المشرق العربي الإسلامي، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1999م.

16_شكيب أرسلان (امير):

_ الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية، مؤسسة الهنداوي، مصر، القاهرة، الجزء3، دون تاريخ.

17_ضيف (شوقي):

-عصر الدول و الإمارات " الجزيرة العربية" العراق- إيران، دار المعارف، القاهرة، الطبعة2، 1119هـ.

18_طقوش(سهيل):

- تاريخ الفاطميين في شمال افريقية و مصر و بلاد الشام،دار النفائس، بيروت لبنان، الطبعة2 ، 1428 هـ-2007م.

- السلاجقة في خرسان، دار النفائس، بيروت، الطبعة2، 1437هـ/2016م.

19_ظهير (إحسان):

_التصوف المنشأ و المصادر، دار إدارة ترجمان السنة، باكستان ،1406هـ -1986م.

- الإسماعيلية تاريخ وعقائد ،مكتبة بيت السلام ،الرياض ،1941_1987م.

20_عاشور (سعيد عبد الفتاح) :

_تاريخ أوربا في العصور الوسطى ،دار النهضة العربية ،بيروت ، 1976م.

21_العبادي (احمد مختار):

_في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية ،بيروت ،لبنان ، د س ط .

22_ العسكر (عبدالله ابراهيم):

_تاريخ اليمامة في صدر الاسلام ،دار جداول ،لبنان ،2012م.

23_ عبية (عبد الحميد) :

_موجز تاريخ الاندلس ،مكتبة المهدية ،القاهرة ،ب س ط

24_علي (أحمد) :

_ الأندلسيون في بلاد الشام من نهاية القرن 5هـ-9هـ ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، 1989م.

25_فؤاد سيد(ايمن):

_الدولة الفاطمية في مصر ،الدار المصرية العامة، القاهرة ،2007م.

26_قنديل(فؤاد):

- أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة،دون تاريخ.

27_كرد (علي محمد):

_خطط الشام، مكتبة النوري،دمشق، الطبعة3 ، 1403-1980.

28_ماهر (سعاد):

_مساجد مصر وأولياؤها الصالحين ،إشراف محمد توفيق عويضة ،جمهورية مصر العربية ،الجزء1،دون تاريخ.

29_محمود عمران(سعيد):

_حضارة أوروبا في العصور الوسطى ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،1998م.

30_مؤلف مجهول:

– حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة1، 1914 م.

31_نجم الزيدي(مصعب):

_ الصليبيون في بلاد الشام ،دار النهضة العربية ، بيروت ،لبنان ،1435هـ/2014م.

32_نزار دباغ (محمد):

_المشرق في نظرة المغاربة و الأندلسيين في القرون الوسطى، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1923م.

33_وديع (واصف):

ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق ، المجمع الثقافي، أبو ظبي الإمارات العربية، 1421 هـ – 2000م.

ثالثا: الرسائل الجامعية :

1_بنت عابد أحمد مفتي (نادين) :

– تاريخ التعليم في المشرق الإسلامي – القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير في التربية الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة، 1408 هـ.

2_عبد الغني مالكين (سليمان):

-بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد ،أطروحة دكتوراه جامعة القاهرة قسم تاريخ،1301هـ- 1981م.

3_العبسي بن عبد الرحمان(عادل):

_التحرير في الفقه لأبي العباس الجرجاني،رسالة لنيل شهادة الماجستير في الفقه وأصوله ،جامعة الملك سعود،1476هـ.

4_محمد باشاه (حافظ) :

-الحجاز في أدب الرحلة العربي، أطروحة دكتوراه، الجامعة الوطنية للغات الحديثة ،باكستان، 2013م.

5_محمد محمد(شذى):

_الحركة التاريخية في مصر في العصر الفاطمي، رسالة ماجستير في تاريخ العرب و الإسلام، قسم التاريخ، كلية الأدب و العلوم الإسلامية، حمص، 1440هـ/2019م.

6_النجار (عبد المجيد):

_ المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الأزهر، 1403هـ – 1983م.

فهرس

الموضوعات

المقدمة :.....6_1

المبحث الاول :.....30_7

الطرطوشي حياته ومؤلفاته

1 – أصله ونشأته.

2 – تكوينه العلمي وأساتذته.

أ – تكوينه

ب – أساتذته: – من الأندلس.

- من المشرق.

3 – مؤلفاته وتلاميذه:

أ – مؤلفاته.

ب – تلاميذه: – من المغرب والأندلس

- تلاميذه من الإسكندرية.

المبحث الثاني :.....51_31

صورة الحجاز و العراق.

ب- صورة الحجاز

أولا: الحياة السياسية.

ثانيا: الحياة الثقافية و الدينية.

أ- الحياة الثقافية.

ب_ الحياة الدينية.

2- صورة العراق:

أولا: الحياة السياسية.

ثانيا: الحياة الثقافية و الدينية.

أ- الحياة الثقافية.

ب_الحياة الدينية.

المبحث الثالث :.....52_70

صورة الشام و مصر.

3-صورة الشام.

أولا: الحياة السياسية.

ثانيا: الحياة الثقافية و الدينية.

ب- الحياة الثقافية.

ب_الحياة الدينية.

4-صورة مصر.

أولا: الحياة السياسية.

ثانيا: الحياة الثقافية و الدينية.

ت- الحياة الثقافية.

ث- الحياة دينيا.

الخاتمة :.....ص71-73

الملاحق :.....ص74-77

الخرائط::.....ص78-81

قائمة المصادر والمراجع:.....**ص**82-93

فهرس الموضوعات ص94-97